تجليد صاح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

892.78:J25mA

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.

المحاسن والأضداد.

892.78
J25mA

JAFET LIB.
11 APR 1982
JAFET LIB.
12 MAY 1990
26 OCT 1973
JAFET LIB.
22 JUL 1991

892.78
J25mA
c.1

المحاسن والأضداد

عبد الرحمن محمد

تأليف

(أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري)

(إمام أهل الادب المتوفى سنة ٢٢٥ هـ)

الطبعة الاولى

سنة ١٣٣٢ هـ

محل مبيعه

بمكتبة ملتزمه حضرة محمود أفندي توفيق الكتبي بشارع

الحلوجي بجوار الازهر بمصر

يطلب من
مكتبة العرب
٢٨ شارع كامل صدقي بالفجالة

(طبع بمطبعة الفتوح الادبية)

التي مركزها بجوار سيدي عبد الله الجويني بشارع النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى فيتواطا على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه القدرة على التقديم والتاخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألفه له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا نقادا ونقريسا بليغا وحاذقا فطنا وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا الىّ وموسوما بى . وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فاترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء ممن مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم باعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اما ما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتادبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تاليفى . وهذا كتاب وسمته « بالمحاسن والاضداد » لم أسبق الى نحلته ولم يسالنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شئ من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد

(محاسن الكتابة والكتب)

كانت العجم تقيد ما تؤرخه بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير و بناء اصطخر و بناء المدائن والسدير والمدن والحصون . ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمأثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المأثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور وتنقشها فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الباقى وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخا لامر جسيم أو عهد لامر عظيم أو موعظة يرجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقّر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية . ومنهم من يفرط فى العلم أيام تحمله وترك ذكره وحداثة سنه . ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وأن يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير . وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الاريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا

واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه . هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء . وقال آخر . الكتاب جليس لا مؤنة له . وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة . وقال آخر ذهبت المكارم الا من الكتب

﴿ قال الجاحظ ﴾ . وأنا أحفظ وأقول . الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشي ظرفا وانا ء شحن مزاحا إن شئت كان أعيي من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ كملهٍ وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بيانا ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافاة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم

البائدة مايجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا و ورده خمسا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذى لا يُطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ماعندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك و بسط لسانك و جود بيانك وفخم ألفاظك ونجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وانّ أمثل مايقطع به الفُرّاغ نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال و رب صنيعة وابتداء انعام ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع مافى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير ان الناس يتحدثون باحسن مايحفظون و يحفظون أحسن مايكتبون و يكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الادب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختارا واؤلؤا منظوما . وقال لقمان لابنه يا بنى نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب . وقال الزهرى . الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم . وقال اذا سمعت أدبا فاكتبه ولو فى حائط . وقال منصور ابن المهدى للمامون . أيحسن بنا طلب العلم والادب قال . والله لان أموت طالبا للادب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال . فالى متى يحسن بى ذلك قال ما حسنت الحياة بك .

﴿ ضد ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبدا أصلح من لسانه . وكان الوليد بن عبد الملك لحنة فدخل

عليه اعرابى يوما فقال انصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحى لا اعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز أن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه . قال لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى اتعلمه . قال وسمع اعرابى مؤذنا يقول . أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا قال وقال رجل لزياد . أيها الامير ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيعت من نفسك اكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك . وقال مولى لزياد . أيها الامير احذ والنا هما روهش . فقال . ما تقول . فقال احذ والنا ايرا . فقال زياد . الاول خير من الثانى . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . فما فقد أوذيتما أمير المؤمنين . فقال عمر للحاجب . أنت والله اشد اذاء منهما قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن . قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها . فقال القاسم النمار هذا على قوله .

انّ سُليْمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرْزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر . قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلامه ثلاثا فلما أجابه قال . من لدن دأوتك الى أن ديتنى ما كنت تصنأ . يريد دعوتك و جئتنى وتصنع . ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال . يا ماسرجويه انى لاجد فى حلقى بححا . قال هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فاجبته بضدها .

﴿ محاسن المخاطبات ﴾

حكوا عن ابن القرّيّة . انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال . من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين . قال ولد أمير المؤمنين . قال بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك و بارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك . قال فشحن فاه درا . قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين و برك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك . قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال مالك قال

سوامى سوامُ المكثرين تجملا * ومالى كما قد تعلمين قليلُ
و آمرة بالبخل قلتُ لها اقصرى * فذلكَ شئ ما اليه سبيلُ
وكيف أخافُ الفقرَ أو احرمُ الغنا * ورأىُ أمير المؤمنين جميلُ

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليلُ

فقال الرشيد . هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين واسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين ألف درهم . قال اسحاق . يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى باكثر مما مدحتك به . قال الاصمعى . فعلمت انه أصيد للدراهم منى . قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت . قال . أنا الناشىء فى دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المامون . بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة و يعطى مائة ألف درهم تقويه له . قال و وصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المامون فقال ليحيى يوما . أدخل الى هذا الغلام المجوسى حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه و وقف تحير فاراد الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال . فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده . فقال له الرشيد . أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئا أدركك عندا نقطاعك انه لحسن وأحسن ثم جعل لا يساله عن شىء الا رآه فيه مقدما فضمه الى المأمون . قال وقال الفضل بن سهل للمامون وقد ساله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتاخر ذلك . هب لوعدك مذكراً من نفسك وهنىء سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثا على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود . فقال . قد جعلت اليك اجابة سؤالى عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة فى اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذا لا تجدى معرفتى بما يجب لامير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء و يستمد بدعائهم طول البقاء . وقال الفضل بن سهل للمامون . يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك . قال ودخل العتابى على المامون فقال . خبرت بوفاتك فغممتنى ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلنى ما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة . قال وقدم السعدى أبو وجزة على المهلب بن أبى صفرة . فقال اصلح الله الامير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا فان

قمت بها فاهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فاخذها . وقال

يا من على الجودِ صاغ اللهُ راحتهُ * فليس يحسنُ غير البذلِ والجود
عممت عطاياك من بالشرق قاطبة * فانت والجود منحوتان من عودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها . وقد قال الاصمعى

أ مالو أعى كل ما أسمعُ * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفدْ غير ما قد جمعت * لقيلَ أنا العالم المقنع
ولكنَّ نفسى الى كل شىء * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعهِ أشبع
وأقعد للجهل فى مجلس * وعلمى فى الكتبِ مستودع
ومن يك فى علمهِ هكذا * يكن دهرَه القهقرَى يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت * وعلمك فى الكتب مستودع
اذا لم تكنْ حافظا واعيا * فجمعك للكتبِ ما ينفع

وقال بعضهم . الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل . وفيها قال الشاعر

أتانى هواها قبل أنْ أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقيل . العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر . فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا . كما قال

وان منْ أدّبته فى الصبى * كالعود يسقَى الماء فى غرْسه
حتى تراه مورقا ناضراً * بعد الذى أبصرتَ من يبسه

والصبى عن الصبى افهم وهو له آلف واليه انزع . وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل . وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لان الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ضده﴾

قال دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال انى أكلت من لحوم الجوازئ

وطسئت طساة فاصابني وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء. قال نعم خذ خوقفا وسربقا ورقرقافاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ماتقول قال ولا انا دريت ماقلت. قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة فى قلبى وقرة فى صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيح . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الامير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعنى عنجدا واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهبا فقال له الهيثم امن بنى امية انت قال لا قال افمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن اكفائهم من العرب قال لا قال ويلى عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال اصلحك الله أن ازارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون فى أذنه فافلت من أيديهم فقال مالكم تتكأكؤن على تكاكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية قال وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط. وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن ابيا ولا تردن اتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

(محاسن المكاتبات)

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شىء فاكتب لى اليه فكتب اليه لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذى تامله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتى بك تجد الشكر وافيا بالنعمة فكتب اليه الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندى ما يحب فلا تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه أما بعد فقد عاقنى الشك عن عزيمة الرأى ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فاطعمنى أولك فى احسانك وأياسنى آخرك من وفائك فلا انا فى غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا فى غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف ايضاح الرأى فيك فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف. قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه . ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوى الاسنان ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام

السودد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته غضبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وانا شفيعه فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتتوى (١) ما أفدته. فعفى عنه ورده الى عمله. قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه. أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين. فرضى عنه. قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه. أما بعد فقد تركتنى منتظرا لوعدك منتجزا لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل وقد قلت ببتى شعر

بسطت لسانى ثم أوثقت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك مطلق

فان أنت لم تنجز عداتى تركتنى * وباقى لسان الشكر باليأس موثق

قال. وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا. أما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك علىّ فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام. فكتب اليه المامون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقفناك عليهما قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون كتابا يستعطفه على الجند كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تاخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المامون والله لاقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المامون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المامون فقال لعمرو بن معدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله فلما قرأ المامون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتاخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة ألف درهم صلة على دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له. وحدثنا اسماعيل بن شاكر قال لما أصاب اهل مكة السيل

(١) التواء الهلاك

الذى شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون ان أهل حرم الله وجيران بيته والاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخرياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الاثقال حتى ماترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والآباء والاجداد فاجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم قال فوجه اليهم المامون بالاموال الكثيرة وكتب الى عبيد الله . أما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم مما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على صحة نيته قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التى أنفذها اليهم قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سال الدخول فيه قال وكتب على ابن هشام الى اسحق بن ابراهيم الموصلى ما أدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق والتقى ولا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الى صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير أنه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضده ﴾

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبى الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشمرى للموت لنا قبلة وقرأت أيضا على عنوان كتاب الى الذى كتب الىّ

(محاسن الجواب)

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ أربعين سنة قال فانت تاكلها أربعين سنة ما عليك أن يا كل عاملى منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يا كل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فاخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه

وأمر برد ضيعته وصيره فى خاصته . ويقال ان سعيد بن مرة الكندى حين أتى معاوية . قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة . قال ودخل السيد بن أنس الازدى على المامون فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس . قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر منى وأنا ولدت قبله . قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه . قيل ووقف المهدى على امرأة من بنى ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيئ قال ما منع طيا أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فاعجب بقولها ووصلها قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لى بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت باهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان فما اعرف لنا مثلا الا قول الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك ! ما شئ أؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الىّ من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئا

(ضده)

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال . بابى أنت وأمى يا رسول الله أنه لمطعام . جواد الكف مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان بابى أنت وأمى يا رسول الله أنه ليعرف منى أكثر من هذا ولكنه يحسدنى . فقال عمرو والله يا نبى الله ان هذا لزمر المروءة ضيق العطن لئيم العم أحمق الخال فرأى الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى ولكنى رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما اعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما . وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبى طالب . غلبك علىّ على الثروة والعدد . قال وسبقنى واياك الى الجنة . قال الوليد أما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان . قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح الميسر . فقال الوليد والله انى لارى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لوردوا صعودا . فقال له عقيل كلا أما ترغب عن صحة ابيك . قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم . قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان

جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم . قال له خالد من أى قريش أنت . قال من عبد الدار ابن قصى بن كلاب . قال لقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا . قيل ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له . يا أبا فراس من القائل

هو القينُ وابنُ القينِ لا قينَ مثله * لقطحِ المساحى أو لجدْلِ الادائم

قال الفرزدق الذى يقول .

هو اللصُّ وابن اللص لا لصَّ مثله * لنقبِ جدارٍ أو لطرِّ الدراهم

﴿ محاسن حفظ اللسان ﴾

قال اكثم بن صيفى مقتل الرجل بين فكيه - يعنى لسانه - وقال رب قول اشد من صول وقال لكل ساقطة لاقطة وقال المهلب لبنيه اتقوا زلة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته و يزل لسانه فيكون فيه هلاكه قال يونس بن عبيد ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان وقال قسامة بن زهير يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر وكان يقال ينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه وقال الشاعر

عليك حفظ اللسان مجتهداً * فانَّ جلَّ الهلاكِ فى زَلله

غيره

وجرْح السيف تاسوه فيبرأ * وجرح الدهر ماجرح اللسان
جراحات الطعان لها التئامٌ * ولا يلتام ماجرح اللسان

غيره

احفظْ لسانك لاتقول فتبتلى * انَّ البلاء موكلٌ بالمنطق

غيره

لعمرك ماشىءٌ علمت مكانه * أحقُّ بسجنٍ من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك قوله * بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

قيل تكلم أربعة من الملوك باربع كلمات كالسهام رميت عن قوس واحد قال كسرى أنا

على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت . وقال ملك الهند . اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها . وقال قيصر . لا أندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت . وقال ملك الصين عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول . وقال بعضهم . من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة فى العلم . وقال بعض الحكماء . من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن . وقال بعضهم . كان ابن عبيدة الريحانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى . كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام وكان يقال . من سكت فسلم كان كمن قال فغنم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام يرحم الله امرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال . أنسانى أول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتفاوته ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال . لها ما يبكيك قالت تقتل ظلما قال وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظالما . وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أنهته بما ليس فيه وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعنى المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فقلت فى نفسى صممت الى من أريد أن أتعلم منه

ضده

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل منه وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى ووالله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار فى يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضررا من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العى وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن وممن أفرط فى قوله فاستقبل بالحلم ما حكى عن شهرام المروزى فانه جرى بينه وبين أبى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يا لقطة فصمت أبو مسلم وندم شهرام على

ماسبق به لسانه وأقبل معتذرا خاضعا ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق و وهم أخطا وانما الغضب شيطان والذنب لى لانى جرأتك على نفسى بطول احتمالى منك فان كنت معتمد الذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غرورا قال أجل قال وان عظيم ذنبى لن يدع قلبى يسكن ولج فى الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجبا كنت تسىء وأنا أحسن فاذا أحسنت أسأت

﴿ محاسن كتمان السر ﴾

قال كان المنصور يقول الملك يحتمل كل شىء من أصحابه الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك وكان يقول سرك من دمك فانظر من تملكه وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم وقيل لابى مسلم باى شىء أدركت هذا الامر قال ارتديت بالكتمان وائتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتى وحزت بغيتى وأنشد فى ذلك

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

قال . وقال عبد الملك بن مروان للشعبى لما دخل عليه . حنبنى خصالا أربعا لا تطرينى فى وجهى ولا تجرين على كذبة ولا تغتابن عندى أحدا ولا تفشين لى سرا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم . استعينوا على انجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود . وأنشد اليزيدى فى ذلك

النجم أقرب من سر اذا اشتملت * منى على السر أضلاع وأحشاء

غيره

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى * من السر ما يطوى عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سر أهله * اذا عقد الاسرار ضاع كثيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه * على ذاك منه صدق نفس وخيرها

قال معاوية ابن أبى سفيان . أعنت على على بن أبى طالب باربع خصال كان رجلا ظهرة عبلة لا يكتم سرا وكنت كتوما لسرى وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجاة وكنت

أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فقلت ماشئت فلله من جامع الى ومفرق عنه . وكان يقال . لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلام من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله. وقال بعضهم. كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشائك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه . وقال بعضهم ماأقبح بالانسان ان يخاف على مافى يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره مافى قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له وقال معاوية ماأفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فكتمته بين اضلاعى الا أكسبنى مجد اوذكر اوسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص وكان يقول ماكنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوء ماكنت واجدا لها فى الخير مذهبا وما كافات من عصى الله فيك بافضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء وحدث ابراهيم بن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل مافعل . فانشد

تقسمنى أمران لم أفتتحهما * بحزم ولم تعركهما الى الكراكر
وماساورالاحشاء مثل دفينة * من الهم ردتها اليك المعاذر
وقد علمت أفناء عدنان أننى * على مثلها مقدامة متجاسر

وقال آخر

صن السر بالكتمان يرضيك غبه * فقد يظهر السر المضيع فيندم
ولا تفشين سرا الى غير أهله * فيظهر خرق الشر من حيث يكتم
ومازلت فى الكتمان حتى كاننى * برجع جواب السائلى عنه أعجم
لنسلم من قول الوشاة وتسلمى * سلمت وهل حى على الدهر يسلم

وقال آخر

أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر
ولولم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

وقال أبو نواس

لا تُفش أسرارك للناس * وداوِ أحزانكَ بالكاس
فان ابليس على مابه * أرأفُ بالناس من الناس

وقال المبرد . أحسن ماسمعت فى حفظ اللسان والسر ماروى لامير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

لعمرُكَ انَّ وشاةَ الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا
فلا تبدِ سرَّكَ الا اليك * فان لكل نصيحٍ نصيحا

(وقال العتبى)

ولى صاحبٌ سرى المكتمِ عنده * محاريقُ نيرانٍ بليل تحرَّقُ
غدوتُ على أسراره فكسوتها * ثيابا من الكتمانِ ماتتخرَّق
فمن كانت الاسرارُ تطفوا بصدره * فاسرار صدرى بالاحاديث تغرق
فلا تودعنَّ الدهرَ سرك أحمقا * فانك انْ أودعته منه أحمق
وحسبكَ فى ستر الاحاديثِ واعظا * من القولِ ماقال الاديبُ الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ الا كلُّ ذى خطر * والسرُّ عند كرامِ الناس مكتوم
والسر عندى فى بيتٍ له غلقٌ * قد ضاع مفتاحه والباب مردوم

قيل . دخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عتبة فقال ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى اذاعة سرك . فقال

من كان يزعم أن سيكتم حبه * أو يستطيع الستر فهو كذوب
الحبُّ أغلب للرجال بقهرهِ * مِنْ أن يرى للسر فيه نصيب
واذا بدا سرُّ اللبيب فانه * لم يبد الا والفتى مغلوب
انى لاحسدُ ذا هوًى مستحفظا * لم تنهمه أعينٌ وقلوب

فاستحسن المهدى شعره وقال . قد عذرناك على اذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته . وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت

بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الى أحد رجلين اما آخرى يرجو ثواب الله أودنيا وى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر وقال المهلب ماضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر كما قال الشاعر

ولربما كتم الوقور فصرحت * حركاته للناس عن كتمانه
ولربما رزق الفتى بسكوته * ولربما حرم الفتى ببيانه

وقال آخر

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها * فسرُّك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر

لسانى كتومٌ لاسراركم * ودمعى نمومٌ لسرى مذيع
فلولا الدُّموع كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لى دموع

﴿محاسن المشورة﴾

يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ماعليه ويقضى الله فى أمره مايجب وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأى وقال آخر اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن

(ضده)

قال بعض أهل العلم لولم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطراح ماتفيده المشورة والقاء مايكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسى ضعيفا وكان عندى قويا وتصاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطا الفادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبدا جليل فى العيون مهيب فى الصدور ولن تزال كذلك ماستغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة

اليهم . وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر علي فقال لا أدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه . قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أيد الله الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظهرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا . قال صدقت وانصرفت

﴿ محاسن الشكر ﴾

قال بعض الحكماء . حسن شكرك ممن لا يستحقه واسترماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل ابن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقد ثبتت في القلب منك مودة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

قال . واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو كان تحتك لاقلك . وقال كسرى أنوشروان المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهان علينا أن نقول ونفعلا

الباهلي عن أبي فروة قال . مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر . وانشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب . يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب . من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني

و بين عبدى . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا الاجتهاد فقال . أفلا أكون عبدا شكورا . وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيباً زكيا فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا . وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر . وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه المعروف يكفّر من كفره لانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين وقد قيل فى ذلك

يد المعروف غنمٌ حيث كانت * تحملها كفور أم شكورُ
فعندَ الشاكرينَ لها جزاءٌ * وعندَ الله ما كفر الكفورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند التراخى عن شكر النعم يحل عظائم النقم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يجزيكَ أو يثنى عليكَ وإن من * أثنى عليك بما فعلتَ كمن جزى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل يا عائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر . وقيل لذى الرمة لم خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك . قال لانه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى . ومنهم من يقدّم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق . من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافاة . وقال بعض الحكماء ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر . وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفى فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارسا وللحق مؤديا ولمزيد سببا

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء . المعروف الى الكرام يعقب خيرا والى اللئام يعقب شرا ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الافاعى فيعقب سما . وقال سفيان

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال أنا رجماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بى فانصرفوا وقد كانت هزيلا فاحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم فى ذلك

ومنْ يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقِ الذى لاقى مجير أمّ عامر
أقام لها لما أناختْ ببابهِ * لتسمعنَ ألبان اللقاح الدَّرائرِ
فاسْمنها حتى اذا ما تمكنتْ * فرتهُ بأنياب لها وأظافر
فقلْ لذوى المعروف هذا جزاءُ منْ * يجودُ باحسانٍ الى غير شاكر

قيل . وأصاب اعرابى جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابى يذكر ذلك

غذتك شويهتى ونشأت عندى * فمنْ أدراك أنّ أباك ذيبُ
فجعت نسيّةً وصغار قوْم * بشاتهم وأنت لها رَيب
اذا كان الطباع طباع سوْءٍ * فليس بنافع أدب الاديبُ

وفى المثل سمنْ كلبك يا كك . وأنشد

هم سمّنوا كلبا ليا كل بعضهم * ولو عملوا بالحزم ماسمّنوا كلبا

(وقال آخر)

وانى وقيسا كالمسمن كلبه * فخدّشه أنيابهُ وأظافرهُ

ويضرب المثل بسنمار . وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فاعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات فقيل فيه

جزينا بنى سعدٍ بحسن بلائهم * جزاء سنمّارٍ وما كان ذا ذنب

وقال بشار (١)

اثنى عليك ولى حالٌ تكذبنى * فيما أقول فاستحيي من الناس
قد قلت ان أباحفص لا كرم من * يمشى فخاصمنى فى ذاك افلاسى
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفدٍ * طاطات من سوء حالى عند هاراسى

---

(١) المشهور . ان الابيات لابى العتاهية . وأولها

يا ابن العلاء و يا ابن القرم مرداسى * انى أتيتك فى صحبى وجلاسى

ولابى الهول

كانى اذ مدحتك يابن معن * رآنى الناس فى رمضان أزنى
فان أك رحت عنك بغير شىء * فلا تفرح كذلك كان ظنى

وقال آخر

لحى الله قوم أعجبتهم مدائحى * فقالوا مقالا فى ملام وفى عتب
أبا حازم نمدح فقلت معذرا * هبونى امرأ جربت سيفى فى كلب

وقال آخر

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمدا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال آخر

يحب المديح أبو خالد * ويغضب من صلة المادح
كبكر تحب لذيذ النكاح * وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكرونى أيها الثقلان

(محاسن الصدق)

قال بعض الحكماء . عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب أنهم فى الصدق . وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور . وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه انفة . وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقا فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومدح قوم بالصدق منهم أبوذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أوصدق من أبى ذر . ومنهم العباس

ابن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يامرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل فقال بل تعلمنى يا رسول الله فقال . لانك لم تحلف بيمينا فى جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا . قال والذى بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . انى استسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن أحببت تركته . قال دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسالنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حددت فلم يزن فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر فى ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فامامن رخص له فى الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . لا يصلح الكذب الا فى ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب فى اصلاح ما بين الناس وكذب فى حرب وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص لاحد فى الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله ان لى عند امرأة من قريش وديعة فاذن لى يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلى أستل وديعتى فرخص له فى ذلك فقدم مكة فاخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذى أخبرت به فاعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي بن أخطب وقتل زوجها وأباها . ثم قال اكتم على اليوم وغدا حتى أمضى ففعل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذى أخبره فقالوا ومن أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

(ضده)

قيل . وجد فى بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسالة ماكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك . وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل كفاك موبخا على الكذب علمك بانك كاذب

وقال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة . وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند . وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك . وكذلك يقال أكذب من سياخ خراسان . لانهم يجتازون فى كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب . وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين . ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل * ومما قيل فى ذلك من الشعر

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
ما إن سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

(وقال آخر)

لقد أخلفتنى وحلفت حتى * اخالك قد كذبت وان صدقتا
ألا لا تحلفن على كلام * فاكذب ما تكون اذا حلفتا

(وقال آخر)

قد كنت انجز دهرا ما وعدت الى * أن أتلف الوعد ما جمعت من نشب
فان أكن صرت فى وعدى أخا كذب * فنصرة الصدق أفضت بى الى الكذب

قال الاصمعى . قال الخليل بن سهل . يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت فى غلظ الراقود فقلت ها هنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فحدثه بهذا فذهبت به الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى . قد سمعت بذلك و بلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فاتينا ه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فالقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها . فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخى ما بينا شيئا الا وهو دون الراقود . قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم . نحن كما قال الله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) * قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شىء من الادب . لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئا قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها فقالوا نحن نحتال لك فاخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى ابن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شىء غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفا مليحا فاعجب به وعرض

عليه مالا فابى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى على بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المدينى ومكانه من على فاتى المدينى القائد عشيا فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلنى على بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام و يقول قد كلمت أمير المؤمنين فى أمرك و رضى عنك وأمر برد مالك وضياعك و يامرك بالغدو اليه لتغدو امعه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعاله الرجل بالف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكرا فقال له على وما ذاك قال أخبرنى أبو فلان - وهو الى جنبه - كلامك أمير المؤمنين فى أمرى و رضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك على وقال على بدابتى و ركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى . وقال انا قد رضينا عن الرجل و رددنا عليه ماله . وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله . وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

(محاسن العفو)

قيل . أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فامر بضرب عنقه . فقال أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلنى فقال أطلقوه فقال . أيها الامير اجعل لى ما وهبت لى من عمرى فى خفض عيش فقال اعطوه مائة ألف درهم قال . بابى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال لم قال لقوله فيك

انما مصعبٌ شهابٌ من اللهِ تجلتْ عن وجهه الظلماءِ
ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروتٌ ولا له كبرياء

فضحك مصعب وقال . لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سال عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّض له بان تكلمنى وتسالنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر المامون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذى تفسد

فى الارض بغير الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كاس المنية فقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تبقينى حتى أؤيدك بمال قال لا سبيل الى ذلك فقال يا أمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فانشده

زعموا بانّ الباز علق مرةً * عصفور بز ساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه * والباز منقض عليه يطير
مابى لما يغنى لمثلك شعبةً * ولئن أكلت فانى لحقير
فتبسّم الباز المدلُّ بنفسه * كرما واطلق ذلك العصفور

فقال له المامون أحسنت ماجرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فاطلقه وخلع عليه ووصله * وعن بعضهم ان واليا أتى برجل جنى جناية فامر بضربه فلما مدّ قال . بحق رأس أمك الا ماعفوت عنى قال أوجع فقال بحق خديها ونحرها قال أضرب قال بحق ثديها قال أضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل اذا ظلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا * وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما وقد سئل عن ذلك فقيل . أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه * وقال . فضيل بن عياض بكى أبى فقلت ما يبكيك فقال أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غدا اذا وقف بين يدى الله عز وجل وساله فلا تكون له حجة . وقال الحسن البصرى أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت وروى عن عبد الله بن سلام قال قرأت فى بعض الكتب قال الله عز وجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى قال . خالد بن صفوان اياكم ومجانيق الضعفاء ـ يعنى الدعاء

﴿ ضده ﴾

قيل لما قالت التغلبية للحجاف بن حكيم السلمى فى وقعته . بالبشر قوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ثدى فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال . أما الحجاف فجذوة من نار جهنم قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فاتى برجل تلا آية ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالى فتلوتها قال والله لا عملن فيك بالآية الثانية ﴿واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر * قال وبعث زياد الى رجل من بنى تميم

فقال أخبرونى بصلحاء كل ناحية فاخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق. وقال لوضاع بينى و بين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء و ينزع أضلاع اللصوص. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير فى الناس . قال انظر الى عجوز أدركت زيادا فاسئلها عن سيرته فاعمل بها. فاخذ والله بسنته حتى ماترك منها شيئا. وذكروا ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضى الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تاتينى بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدى الحجاج فارسل الحجاج الى رجل من بنى أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال أخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرجت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ماقال فقال الحجاج أما والله لو لم تجئنى به وجئت بغيره لضربت به رأسك . وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه . أعسُس بنفسك فمن وجدته فجئنى به فلما أصبح أتاه بثلاثة . فقال أصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة . فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى منادى ان لا يخرج أحد بالليل. قال أصلح الله الامير كنت سكران فغلبنى السكر فخرجت ولا أعقل ! ففكر ساعة . ثم قال سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن . ثم قال للآخر فانت ماسبب خروجك قال . أصلح الله الامير كنت مع قوم فى مجلس بشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسى فخرجت . ففكر الحجاج ساعة . فقال رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال لى والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتى فقالت والدتى ماذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فاخذنى العسس. ففكر ساعة. ثم قال يا غلام اضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه

(محاسن الصبر على الحبس)

قال الكسروى. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبّسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل فى الحبل كان فيه عطبة ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس . فقال يخاطبه

إصبر لها صبرَ أقوام نفوسهم * لا تستريحُ الى عقل ولا قود

فقال الافشين . من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره و وجد الكرامة والهوان . ثم قال .

لم ينج من خيرها أو شرّها أحدٌ * فاذكر شوائبها إن كنت من أحدِ
خاضت بك المنية الحمقاءَ غمرتها * فتلك أمواجها ترميك بالزّبد

ولعلىّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالت حبستَ فقلت ليس بضائرى * حبسى وأىُّ مهندٍ لا يغمد
أو ما رأيت الليث يالف غيله * كبرًا وأوباش السباع تردّد
والنار فى أحجارها مخبوءةٌ * لا تصطلى إن لم تثرها الازند
والبدر يدركه الظلام فتنجلى * أيامَه وكأنه متجدّد
والزّاعبية لا يقيم كعوبها * الا الثقاف وجذوةٌ تتوقد
غير الليالى بادئاتٌ عودٌ * والمال عاريةٌ يفاد وينفد
لا يؤيسنَّك من تفرّج كربةٍ * خطبٌ أتاك به الزمان الا نكد
فلكل حال معقبٌ ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غدٌ * ويد الخلافة لا تطاولها يد
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
لو لم يكنْ فى الحبس الا أنه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد
بيتٌ يجدد للكريم كرامةً * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه * خوف العدى ومخاوفٌ لا تنفد
أنتم بنو عم النبى محمد * أولى بما شرع النبىُّ محمد
ما كان من حسن فانتم أهله * كرمت مغار بكم وطاب المحتد
أمن السوية يا ابن عم محمد * خصمٌ نقربه وآخر يبعد
يا أحمد بن أبى دؤاد انما * تدعى لكل كريهة يا أحمد
ان الذين سعوا اليك بباطل * أعداء نعمتك التى لا تجحد

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا ... فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك منزل ... يوما لبان لك الطريق الارشد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد

(ضده)

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف . قوله

قالت حبست فقلت خطبٌ أنكد ... أنحى عليَّ به الزمان المرصد
لو كنت حرًّا كان سربي مطلقا ... ما كنت احبس عنوة واقيد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن ... وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث الهصور لمارعت ... فيّ الذئاب وجذوتي تتوقد
من قال ان الحبس بيت كرامة ... فكاشر في قوله متجلد
ما الحبس الا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدوُّ فشامت ... يبدي التوجع تارة ويفند
أو زارني فيه المحبُّ فموجعٌ ... يذري الدموع بزفرة تتردد
يكفيك أن الحبس بيتٌ لا يرى ... أحدٌ عليه من الخلائق يحسد
تمضي الليالي لا أذوق لرقدة ... طعما وكيف يذوق من لا يرقد
في مطبق فيه النهار مشاكل ... لليل والظلمات فيه سرمد
فالى متى هذا الشقاء مؤكد ... والى متى هذا البلاء مجدد
مالي مجير غير سيدي الذي ... مازال يكفلني فنعم السيد
غذيت حشاشة مهجتي بنوافل ... من سيبه وصنائع لا تجحد
عشرين حولا عشت تحت جناحه ... عيش الملوك وحالتي تتزيد
فخلا العدوُّ بموضعي من قلبه ... فحشاه جمرا ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطوّلا ... فالحقد منك سجية لا تعهد
واذكر خصائص خدمتي ومقاومي ... أيام كنت جميع أمري تحمد

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا
اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا قبل حديثها اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا مجيئها وان قبحت لم تنظر وأنت سعيا

(وقال آخر)

ألا أحد يدعو لاهل محلة مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

(وقال ابن المعتز)

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك الا بدور الفلك
ألم تبصر الطير فى جوها تكاد تلاصق ذات الحبك
اذا أبصرته خطوب الزمان أوقعته فى حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد * ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد فى البيت الذى قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك بعد طوال الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها * طوباك يا ليتنى اياك طوباك

وقال اعرابى

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفى الباب مكتوب على صفحاته بانك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فاوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رب السجن أحب الىّ مما يدعونى اليه) ولو قلت العافية أحب الى لعوفيت قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

(محاسن المودة)

قال بعض الحكماء ليس للانسان بنعم الا بموجدات الاخوان * وقال آخر الازدياد من

الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وقال

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم * ودٌّ فيزرعه التسليم واللطف
يسلى الشقيقين طول النأى بينهما * وتلتقى شعبٌ شتى فتأتلف

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين . أبذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمانينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار وقال العباس بن جرير . المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال . وقال بعضهم من يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكنَّ إخوان الثقات الذخائر

(ضده)

قال المامون . الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه . وكتب بعض الكتاب ان فلانا أولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجهه ولين كنف فلما كشفه الامتحان يسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقا فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره . ومما قيل فى ذلك

والله لو كرهتْ كفى منادمتى * لقلت للكفِّ بينى إذ كرهتينى

وقال آخر

ولو أنى تخالفنى شمالى * لما أتبعتها أبدا يمينى
إذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

من لم يردك فلا ترده * ليكن كمن لم تستفده
باعد أخاك يبعده * فاذا نأى شبرا فزده

وقال آخر

تود عدوى ثم تزعم أننى أودك ان الرأى منك لعازب
وليس أخى من ودنى رأى عينه ولكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت الا الرجاء ومما يخطىء النظر
كالمستغيث ببطن السيل يحسبه حرزا يبادره اذ بله المطر

وقال آخر

وصاحب كان لى وكنت له أشفق من والد على ولد
وكان لى مؤنساً وكنت له ليست بنا وحشة الى أحد
كنا كساق مشت بها قدم أو كزراع نيطت الى عضد
حتى اذا أمكن الحوادث من حظى وحال الزمان من عقدى
إفرورعنى وكان ينظر من عينى ويرمى بساعدى ويدى
حتى إذا استرفدت يدى يده كنت كمسترفد يد الاسد

وقال آخر

فيا عجبا لمن ربيت طفلاً ألقمه باطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
أعلمه الفتوة كل حين فلما طر شاربه جفانى
أعلمه الرواية كل وقت فلما صار شاعرها هجانى

(محاسن الولايات)

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال . هى حلوة الرضاع مرة الفطام وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال . يا أمير المؤمنين من أنا قال . عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وماذاك قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسات الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك

فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئا قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك يا أمير المؤمنين خيرا فقد أبدلني بكم خيرا وأبدلكم بي غيري وولاني العراق . وعن معمر بن وهيب قال . كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم . يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله ابن عبد الملك - مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه . فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب . عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولى النفاطات فاظهر تيها

لعمري لقد أظهرتَ تيها كانما * توليتَ للفضل بن مروان عكبرا
دع الكبرَ واستبقِ التواضعَ إنه * قبيح بوالى النفطِ أن يتغيرا
لحفظِ عيونِ النفطِ أحدثتَ نخوة * فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز

كم تائهٍ بولايةٍ * وبعزلهِ يعدُو البريدُ
سكرُ الولايةِ طيب * وخمارُه صعب شديد

وقال لبيد

لا تفرحنَّ فكلُّ وال يعزلُ * وكما عزلتَ فعن قريب تقتل
وكذا الزمانُ بما يسرُّكَ تارة * وبما يسوءكَ تارة يتنقلُ

﴿ محاسن الصحبة ﴾

قيل . قال علقمة بن ليث لابنه يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدق قولك وان صلت شدد صولك اصحب من إذا مددت اليه يدك لفضل مدها وان رأى منك حسنة عدها وان بدت منك ثلمة سدها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر أصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه . وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وقال

بعضهم لصاحبه أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل. وقال بعضهم اذا رأيت كلبا ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه. وقال ابن أبي داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات. ماخبرك مع صاحبك فقال لا يقصر في الاحسان الي فقال. ياهذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

(ضده)

قيل كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما في عمله فخبرني المدائني قال. وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة. قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال. يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم الجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه. قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له يافاسق خربت مهرجانقذف قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فاعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتفول خربت مهرجانقذف فلم يزل يعذبه حتى مات. قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما. ماحبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه وعن المدائني قال. حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعاذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفا خلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الامير أحب الي ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخف على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور ياحديج أضرب فضربها حتى اوجعها ثم أمره أن ياتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشخوص أفا خلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الامير شيأ بل تخرجني قال أحببت الجماع ماتريدين ان يفوتك ليلة ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره ان ياتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها اني أريد الشخوص أفا خلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ماعندي اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا ان اختار لك أوجعها ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكانما أوجعني من شدة غيظي عليه فتولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ماتقر عين احد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ماتقول ياحديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من أمرك ان تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت قالا أدري قال ياعدو

الله اتخرج حاصلى من بيت مالى من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

(محاسن التطير)

عن عكرمة قال . كنا جلوسا عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر . والذى حضرنا من الشعر فى مثله لابى الشيص

مافرّق الاحبابَ بعد الله إلا الابل
والناسُ يلحونْ غرابَ البين لما جهلوا
وماء لى ظهر غرا * بِ البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غرا * بٌ فى الديار ارتحلوا
وما غرابُ البين إ * لا ناقةٌ أو جمل

وقال آخر

أترحلُ عمنْ أنت صبٌّ بمثله * وتلحى غراب البين انكَ تظلم
أقمْ فغراب البين غير مفرّقٍ * ولا يأتلى الاعلى الفضل يحكم

وقال آخر

غلطَ الذين رأيتهمْ بجهالةٍ * يلحونَ كلهم غرابا ينعق
ما الذنب الا للجمال فانها * مما يشتت شملهمْ و يفرّقُ
إن الغراب بيمنهِ يدنى النوى * وتشتت الشمل الجميع الا ينق

وقال آخر

لا يعلم المرء ليلاً مايصبحه * الا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهمُ * مضللون ودون الغيب أقفال

(ضده)

حكى عن النعمان بن المنذر . أنه خرج متصيداً ومعه عدى بن زيد العبادى فربا رام وهى القبور ! فقال عدى . أبيت اللعن أتدرى ماتقول هذه الآرام قال لا قال أنها تقول

أيها الرّكب المخفو * نَ على الارضِ تمرُّون
لكما كنتمْ فكنا * وكما كنا تكونون

---

(١) هكذا فى الاصل مسندة الى يوسف بن عمر . ولعلها من أخبار الحجاج كما فى غير هذا الكتاب

فقال أعد فاعادها فترك صيده و رجع كئيبا . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى . ابيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال أنها تقول .

رب ركب قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماء الزُّلال
ثم أضحوا اعصف الدهر بهمْ * وكذاك الدهر حالا بعد حالْ

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حى من بنى تغلب فاغار عليهم وقتلهم . وكان رجل منهم جالسا على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

ألا عللانى قبل جيش أبى بكر * لعلّ منايانا قريبٌ ومانْدرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه فى الجفنة التى كان يشرب منها وهذا كقولهم

* انّ البلاء موكلٌ بالمنطق *

(محاسن الوفاء)

قيل فى المثل . أوفى من فكيهة . وهى امرأة من بنى قيس بن ثعابة كان من وفائها ان السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الاثر لاثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعداحتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها . قال وكان سليك يقول كانى أجد خشونة شعر أستها على ظهرى حين أدخلتنى تحت درعها وقال

لعمر أبيك والانباء تنمى * لنعم الجار أخت بنى عوارا
من الخفرات لم تفضحْ أخاها * ولم ترفع لوالدها شنارا
عنيت به فكيهةً حين قامتْ * لنصل السَّيف فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضا . هو أوفى من أم جميل . وهى من رهط ابن أبى بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرّار بن الخطاب الفهرى ليقتلوه فعداحتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست باخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه واعطاها على أنها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموأل بن عادياء . وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموأل دروعه فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام

فتحرز منه السموءل فاخذ الملك ابنا له خارج الحصن وصاح به ياسموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال . أجلنى فاجله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشار وابدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف عليه . وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس . وقال فى ذلك

وفيت باذرع الكندى انى ... اذا ما خان أقوامٌ وفيت
وقالوا عنده كنز رغيبٌ ... فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا ... وبئرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... فى جحفل كسواد الليل جرّار
بالابلق الفرد من تيماء منزلة ... حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّار
خيّره خطتى خسف فقال له ... مهما تقولنْ فانى سامعٌ حار
فقال ثكلٌ وغدرٌ أنت بينهما ... فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشكّ غير طويل ثم قال له ... أقتل أسيرك انى مانعٌ جارى

ويقال أوفى من الحارث بن عباد وكان من وفائه انه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلنى على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال . أنا آمن ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى بن ربيعة فخلاه وفى ذلك يقول الشاعر

لهف نفسى على عدى وقد شا * رفه الموت واحتوته المنون

ويقال هو أوفى من عوف بن محلم وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل فقضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فاتى به أمه فقالت انك تختال باسيرك كانك جئت بمرواز القرظ فقال مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترجين من فدائه قالت مائة بعير قال لك ذلك على ان ترد بنى الى جماعة بنت عوف بن محلم قالت . ومن لى بالمائة فاخذ عودا من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بجماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه فى شىء فقال عوف لرسوله . ان جماعة ابنتى قد أجارته فقل أن الملك

قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه فقال عوف يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما فاجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فادخله عليه فوضع يده فى يده و وضع يده بين أيديهما فعفى عنه ومنهم الطائى صاحب النعمان بن المنذر . وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس و يوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه الا قتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طيئ فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا لم أوص بهم أحدا . فان رأى الملك ان يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده فرق له النعمان . وقال له لا . الا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تات قتلناه وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

يا شريك بن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كلّ مضاف يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فكَّ اليوم عن شيخ غلاله
ابن شيبانَ قبيلٌ أصلحَ الله فعاله

فقال شريك هو على أصلح الله الملك فمضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له . ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول . ليس لك على سبيل حتى نمسى . فلما أمسوا اقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك . فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى فبينما هما كذلك اذ اقبل الطائى فقال النعمان والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فاطلقه وأمر برفع يوم بؤسه وأنشد الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى فابيت عند مجهّم الاقوال
انى امرءٌ منى الوفاء خليقةٌ وفعال كل مهذبٍ بذالِ

فقال النعمان ما حملك على الوفاء قال . دينى . قال وما دينك قال . النصرانية قال أعرضها علىّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

(ضده)

قيل كتب صاحب بريد همذان الى المامون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتى الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما . فوقع المامون إنا نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية

دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فانف الساعي عند ذلك وقال يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه . قال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين عندي نصيحة قال . وما نصيحتك هذه . قال . فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه . قال أنت شر منه واخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا اني أنفر النصاح لعاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث . قال . اعرضهن يا أمير المؤمنين . قال ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان استقلت أقلناك . فاستقاله الرجل

(محاسن السخاء)

روى عن نافع قال . لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال . أخبرني باحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال . أحبهم الي كل مؤمن بخيل وأبغضهم الي كل منافق سخي . قال . ولم ذلك . قال . لان السخاء خلق الله الاعظم فاخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل . وقال صلى الله عليه وسلم . ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وعن الشعبي قال . قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك . لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول . البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل أعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة . وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافاة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيا فان الله يحب السخي وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا علي وان انسان سالك حاجة ليس لها اهل فكن أنت أهلا لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدبه الى الجنة . وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل

لكان عظيما . وقال صلى الله عليه وسلم . تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال بهرام جور . من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ماجاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه . وقال الموبذان لابرويز . أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافاة . قال . لاولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب ديننا من فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره فى الاتقياء والصالحين . قيل وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك . قال ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم * قال وكتب ارسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر . واعلم ان الايام تاتى على كل شىء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة أبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له . انك فى آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال . أى شىء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل قيل . وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى . نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك قال . لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمى فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم قال . وماذاك قال نحن نسمى الضيف مهمانا ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به وقال بعض الحكماء . بلغ الجود من قام بالمجهود وقيل الجواد من لم يضن بالموجود وقال المامون . الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود قيل . وشكا رجل الى اياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال . هل تدخل فيه الريح قال . لا قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال . هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق قيل ووصل المامون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المامون فقال . يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن أمية بن يزيد الاموى قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة اطماع . فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه أربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا . كنت رددت عليه رداطننا أنك تعطيه شيئا قليلا فاذا

أنت أعطيته أكثر مما أمل فقال . انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولى . و بحاتم يضرب المثل فى السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل . كان حاتم جوادا شاعرا وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق . وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه قيل . ولما بلغ حاتما قول المتلمس الضبعى

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظ المال أيسرُ من بغاهُ * وضربٍ فى البلاد بغير زاد

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس رزقا بعيش مقتر * لكلّ غد رزق يعود جديد
ألم تر أن الرزق غاد ورائحٌ * وأن الذى أعطاك سوف يعيد

قيل . ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال انك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم علىّ قال . راحلتين قال . لك عشرون أرضيت . قال نعم وفوق الرضى قال . لك أربعون . ثم قال لمن يحضرته من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بار بعين فدفعها الى الضيف . وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بارض عنزة ناداه أسير فيهم . يا أبا سفانة قد أكلنى الاسار والقمل قال . والله ما أنا فى بلادى ولا معى شىء وقد أسات الى ان نوهت باسمى فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال . خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى اؤدى فداه . ففعلوا فاتاهم بفداء قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بنى أسد يعرف بابى الخيبرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فاناخوا بقبره فقال . والله لاحلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسالته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله و يقول

عجلْ أبا سفانة قراكا * فسوف أنبى سائلى ثناكا

فقال بعضهم . مالك تنادى رمة و باتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعورا فقال . يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتما أتانى فانشدنى

أبا الخيبرىّ وأنت امرؤٌ * ظلوم العشيرةِ شتامها
فما ذا أردت الى رمة * بدوية صخبت هامها
تبغى أذاها واعسارها * وحولك طىّ وأنعامها
وانا لننعم أضيافنا * من الكوم بالسيف نعتامها

وقيل فى المثل . هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد و بلغ من جوده انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط فى شهر ناجروا لجاهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أراد كعب ان يشرب نصيبه قال . آثر أخاك النمرى فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته و بادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه ومن قول أبى تمام

هو البحر من أى النواحى أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
كريم اذا ما جئت للعرف طالبا ... حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

(وللبحترى)

لو أن كفك لم تجد لمؤمل ... لكفاه عاجل وجهك المتهلل
ولو أن مجدك لم يكن متقادما ... أغناك آخر سودد عن أول

(ولبكر بن النطاح)

بطلٌ بصدر حسامه وسنانه ... أجلان من صدر ومن ايراد
ورث المكارم وابتناها قاسم ... بصفائح وأسنة وجياد
ياعصمة العرب التى لولم تكن ... حيا اذا كانت بغير عماد
ان العيون اذا رأتك حدادها ... رجعت من الاجلال غير حداد
واذا رميت الثغر منك بعزمة ... فتحت منه مواضع الاسداد
وكأنّ رمحك منقعٌ فى عصفر ... وكأنّ سيفك سلّ من فرصاد
لو صال من عضب أبو دلف على ... بيض السيوف لذبن فى الاغماد
أورى ونوّر للعداوة والهوى ... نارين نار دم ونار زناد

قال أبو هفان . أنشدهذه الابيات عبد العزيز بن أبى دلف بسر من رأى فقال هل سمعت بمثل هذه الابيات قلت . لا قال . ولغيره فى أبى دلف

ولو يجور لقال الناس كلهم ... لولا أبو دلف ما أورق الشجر

قال ابن يحيى النديم . دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال . أنشدنى قول عمارة فى أهل بغداد فانشدته

من يشترى منى مملوك مخرّم * أبع حسنا وابنى هشام بدرهم
وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة * وأمنح دينارا بغير تندّم

فان طلبوا منى الزيادة زدتهم * ابادلف والمستطيل بن اكثم

فقال المتوكل . و بلى على ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح فى أبى دلف القاسم بن عيسى شىء . قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى يقول فيه

أبادلف إن السماحة لم تزل * مغللة تشكو الى الله غلها

فبشرها ربى بميلاد قاسم * فارسل جبريلا اليها فحلها

(وقال غيره)

حرٌّ اذا جئته يوما لتساله * أعطاك ماملكت كفاه واعتذرا

يخفى صنائعه والله يظهرها * ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

(وقال آخر)

فتى عاهد الرحمن فى بذل ماله * فليس تراه الدّهر الا على العهد

فتى قصرت آماله عن فعاله * وليس على الحرّ الكريم سوى الجهد

(وقال آخر)

اذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر

له فى ذرى المعروف نعمى كانها * مواقع ماء المزن فى البلد القفر

(وقال آخر)

عاد السرور اليك فى الاعياد * وسعدت من دنياك بالاسعاد

رفقا بعبد جلّ ما أوليته * رفقا فقد أثقلته بايادى

ملأ النفوس مهابة ومحبة * بدرٌ بدا متغمرا بسواد

ماان أرى لك مشبها فيمن أرى * ان الكرام قليلة الانداد

(وقال فى ابن أبى داود)

بدا حين أثرى باخوانه * فقلل عنهم شباة العدم

وحذره الحزم صرف الزمان * فبادر قبل انتقال النعم

فليس وان بخل الباخلو * ن يقرع سناله من ندم

ولا ينكت الارض عند السؤال * ليمنع سؤاله عن نعم

ولكن يرى مشرقا وجهه * ليرغم فى ماله من رغم

و يروى فى الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد صالح أبدا و يقولون

الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل فى جنته وقال النبى صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه وقال الشاعر فى ذلك

ليس فى كلّ ساعة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت تقدمت فيها * حذرا من تعذّر الامكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه أن أمير المؤمنين عليا صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق صوفا فاخذه ومر بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطا ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه قال وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حملة فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا بان يرجعوا عنه وقالوا ما نظن عنده خيرا ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك فقال وماذاك فاخبروه فقال ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو ومنها قيل الذود الى الذود ابل وأنشد

رب كبير هاجه صغير * وفى البحور تغرق البحور

(وقال آخر)

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الافيل
وسحق النخل من الغسيل

قال وانى رجل طلحة بن عبيد الله فساله حمالة فرآه يهنا بعيرا له فقال يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال أردت ان انصرف حين رأيتك تهنا البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

﴿ مساوي البخل ﴾

المثل السائر فى البخل هو أبخل من مادر وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فيبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا وذكروا ان بنى هلال وبنى فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يا بنى فزارة أكلتم ايرا الحمار فقالت بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزارى وثعلبى وكلابى فصادوا حمار وحش ومضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبا للفزارى ايرا الحمار فلما رجع قالا قد خبانا لك حقك فكل فاقبل يأكل ولا يسوغه فجعل

يضحكان فقطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال . لتا كلن منه أولا قتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه . فقال فيهم الشاعر

نشدتك يا فزارَ وأنت شيخٌ * اذا خيرتَ تخطىءُ فى الخيارِ
أصيحانيهُ ادمتْ بسمن * أحب اليك أم ايرُ الحمارِ
بلى ايرُ الحمار وخصيتاه * أحب إلى فزارة من فزارى

فقالت بنو فزارة . منكم يا بنى هلال من سقى ابله فلمار ويت سلح فى الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها . وفى بنى هلال يقول الشاعر

تقد جلت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
فاف لكم لا تذكروا الفخر بعدها * بنى عامر أنتم شرار العشائر

وفى المثل . هو أبخل من أبى حباحب . وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن ياخذ منه أطفاه . فضرب به المثل . ومنه صاحب نجيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر . ان نجيحا اليربوعى خرج يوما يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى اسود قاعد فى اطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضا ولم يستطع أن يحرك يده حتى الفاه فقال . ياهذا ماهذا لذى بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فانى أعجب مما ارى اجواد انت فنجود لنا أم بخيل فاعذرك فقال الاعمى . اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فاتنى به نعطك ماتشاء فانطلق نجيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام فما به من الغم لا يدرى من سعد بن خشرم فاتاه آت فى منامه فقال له . يا نجيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهل بن شيبان . فسال عن بنى محلم ثم سال عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام . فقال له نجيح من أنت . قال أنا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج فى طلب نجيح اليربوعى وذلك ان آتيا أتاه فى منامه فحدثه ان مالا له فى نواحى بنى يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعى فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبنى من قد عنانى طلابه * فيا ليتنى ألقاك سعد بن خشرم
أتيت بنى يربوع تبغى لقاءنا * وجئت لكى ألقاك حى محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد فقال له نجيح . أيها الراكب هل لقيت سعدا فى بنى يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح قال . أنا نجيح وحدثه بالحديث فقال . الدال على الخير كفاعله

وهو أول من قالها . فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله فقال نجيح ياسعد قاسمنى فقال له . أطوعنى وعن مالى كشحا . وأبى أن يعطيه شيئا فانقضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع فى أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل وكان أبو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به فى صندوقه فيكون آخر العهد به قيل . ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شق . لا اله الا الله . أو فى شق . محمد رسول الله ماينبغى أن تكون الا معاذة وقذفه فى صندوقه . وذكروا انه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب فاتاه شاعر يمدحه فلم يعطيه شيئا ثم سعل سعلة فضرط . فقال الشاعر

أتيتُ المسيب فى حاجة * فمازال يسعلُ حتى ضرط

فقال غلطنا حساب الخراجِ * فقلتُ من الضرط جاء الغلط

فمازالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل قال . وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشىء فلم يفعل فكتب اليه . ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر قال . وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول من يعشى الجائع . فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال . هيهات تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى . ووضع رجله فى الادهم حتى أصبح . قال وكان رجل يأتى ابن المقفع فيلح عليه وساله أن يتغدى عنده ويقول لعلك تظن انى أتكلف لك شيئا والله لا أقدم لك الا ماعندى فلما أتاه لم يجد فى بيته الا كسرا يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له . وسع الله عليك . فلم يذهب فقال . والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك فقال ابن المقفع للسائل . ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين / قال . وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه . العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا وكتب آخر الى آخر يصف رجلا أما بعد فانك كتبت تسال عن فلان كانك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما فى يده لا ينبغى الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذى يرضى به التبذير الذى يعاقب عليه والاقتصاد الذى أمر به الاسراف الذى يعاقب عليه وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم

وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء فى خصاصة على نفسه و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كانه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تاخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق و يرجو الثواب على الاقتار و يعد نفسه خاسرا و يعدها الفقر و يامرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله ان يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا فى حاجتنا هذه فى كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح . كقول القائل .

لا تجعلنا ككمون بمزرعة * ان فاته الماء أروته المواعيد

وكتب آخر . ما رأيت مثل طيب قولك امرّه سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ولا مثل أنس مذاهبك اوحش منه اختبار عواقبك حتى كان الدهر أوعدك لطيف الحيلة بالمكر باهل الخلة وكانه زبنك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة وقد قيل وعد الكريم نقد وتعجيل و وعد اللئيم مطل وتاجيل وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا امانى الكمون . ولبعضهم اما بعد فلا تدعنى معلقا بوعدك فالعذر الجميل احسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمنى ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك . وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة قال لا . قال فتزوج وعلىّ المهر فرجع الى امه فاخبرها الخبر فقالت

اذا حدثتك النفس إنكَ قادرٌ * على ماحوت ايدى الرجال فكذب

فتزوج واتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرىء فى ماله * وعلى كرائم حر مالك فاغضب

و وصف اعرابى رجلا فقال له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه ابدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح وقال اعرابى انا من فلان فى امانى تهبط العصم وخلف

يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه وذكر اعرابى رجلا فقال له مواعيد عرقوبا المطل وثمارها الخلف ومحصولها الياس . ويقال سرعة الياس أحد النجحين . وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل و برق الخلب وأمانى الكمون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة . ومما قيل فى ذلك

أروح وأغدو انحوكم فى حوائجى * فاصبح فيها غادوةً كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى * فقد صرت أرضى ان أشفع فى نفسى

ولابى نواس

وعدتنى وعدك حتى اذا أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة تغسل ما قلت بصابون

ولابى تمام

يحتاج من يرتجى نوالكم الى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له وعمر نوح وصبر ايوب

وقال آخر

انى رأيتُ من المكارم حسبكم أن تلبسوا خزّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إنى لاعجب من قول غررت بهِ حلو يمدُّ اليه السمع والبصر
لو تسمع العصم من صم الجبال به ظلت من الراسيات العصم تنحدر
كالخمر والشهد يجرى فوق ظاهره وما لباطنه طعمٌ ولا خبر
وكالسراب شبيها بالغدير وإن تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة غراء ليس لها سيلٌ ولا مطر

وقال آخر

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه وخبز أبى عثمان فى أحرز الحرز
يحن الى جاراته بعد شبعه وجاراته غرثى تحنُّ الى الخبز

وقال آخر

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهةٌ حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الرّوث فى أعفاج بغلته خوفا على الحب من لقط العصافير

وقال آخر

نوالكَ دونهُ خرطُ القتاد * وخبزكَ كالثريا فى البعاد
ترى الاصلاحَ صومك لا لنسك * وكسرُ الخبزمنْ عمل الفساد
أرى عمرَ الرغيفِ يطول جدًّا * لديكَ كانه من قومِ عاد

وقال آخر

اللؤمُ منك على الطعام طباعُ * فعيالُ بيتك ماحييتَ جياع
وإذا يمرُّ بباب دارك سائل * حملتْ عليه نوابحٌ وسباع
وعلى رغيفك حيةٌ مسمومة * وعلى خوانكَ عقربٌ وشجاعُ

وقال آخر

ياتاركَ البيت على الضيفِ * وهار بأعنهُ من الخوف
ضيفكَ قدجاء بخبز له * فارجع وكنْ ضيفا على الضيفِ
اذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا * أتاهُ بالشهوة فى الصيفِ
وإن دنا المسكينُ من بابهِ * شدَّ على المسكينِ بالسيف

وقال آخر

أرى ضيفكَ بالدَّار * وكربُ الجوع يخشاهُ
على خبزِك مكتوبٌ * سيكفيكهم الله

وقال آخر

لابى نوحٌ رغيفٌ * أبدا فى حجرِ دايه
أبدا يمسحه الدهر بكمّ ووقايه
ولهُ كاتب سرّ * خطّ فيه بعنايه
فسيكفيكهمُ الله الى آخر الآيه

وقال آخر

الخبزُ يبطى حينَ يدعوبه * كانه يقدمُ من قافِ
ويمدح الملحَ لاصحابه * يقول هذا ملح سيرافِ
سيان أكل الخبز فى داره * وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر

فتى لا يغارُ على عرسه ولكن يغارُ على خبزه
فمنه يد الجود مقبوضة وكفُّ السماحة في عجزه

وقال آخر

يصونون أثوابهم في التخوت وأزواجهم بذلةٌ في السكك
ينحون من رامَ رغفانهم ويدنون من رامَ حلَّ التكك

وقال آخر أما الرَّغيف على الخوا نفمن حمامات الحرم
ما إن يجسُّ ولا يمـــس ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضرَ يابسا بالى النقوش من الهرَم

وقال آخر أتينا أبا طاهرٍ مفطرين الى داره فرجعنا صياما
وجاء بخبزلهُ حامضٌ فقلت دعوهُ وموتوا كراما

وقال آخر يبخلُ بالماء ولو أنه منغمسٌ في وسط النيل
شحا فلا تطمع في خبزه ولو تشفعت بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال . قال الرشيد ما لاحد من المولدين ما لابي نواس في الهجاء

وما روّحتنا لتذبَّ عنا ولكن خفتَ مرزئة الذباب
شرابك كالسراب إذا التقينا وخبزك عندَ منقطع التراب

وقال آخر

خان عهدي عمرو وما خنت عهده وجفاني وما تغيرت بعده
ليس لي ما حييت ذنبٌ اليه غير أني يوما تغديت عنده

وقال الخليل بن أحمد العروضي الازدي

فكفاه لم تخلقا للندى ولم يك بخلهما بدعه
فكف على الخبز مقبوضة كما نقصت مائةٌ تسعه
وكفٌّ ثلاثة آلافها وتسع مئيها لها شرعه (١)

(١ قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه الجامع في اللغة لشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا تاولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أي مثل الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة ها هنا دينا وسنة قال هذا لها دينا

(وقال ابن أبي البغل)

وكلٌّ من أجتديه في بلدٍ * أرومُ مما لديه في صفدِ
يعقدُ لي باليسار أربعةً * منقوصة تسعة الى العددِ

(وقال آخر)

أتيتُ أبا عمرو ارجي نواله * فزاد أبو عمرو على حزني حزنا
فكنتُ كباغي القرنِ أسلم أذنه * فآبَ بلا اذن ولم يستفد قرنا

﴿محاسن الشجاعه﴾

قيل. كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا وكان قد أبر على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويامره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا وعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسني فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمان اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثني على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر قال نعم قال ما حملك على ما بلغني عنك قال جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان. قال وما الذي بلغ من أمرك فيجتري عجنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك قال لو بلاني الامير لوجدني من صالحي الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال. الحجاج انا قاذفوك في قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خليناك ووصلناك قال قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت المنة وقربة المحنة. فامر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن وكتب الى عامله بكسكر يامره ان يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارحدوابهم فجعل منها واحدا في تابوت يجر على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فالقي في حيز وأجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطي سيفا ودلي عليه فمشى الى الاسد وأنشا يقول

ليثٌ وليثٌ في مكان ضنكٍ * كلاهما ذو أنف ومحكِ
وصولة في بطشة وفتكِ * ان يكشف الله قناع الشكّ

وظفرًا بجؤجؤ وبركِ * فهو أحقُّ منزل بترك
الذئبُ يعوى والغرابُ يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تعطى الاسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كانه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس فقال. الحجاج يا جحدر ان احببت ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وأن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاسنينا فريضتك قال. اختار صحبة الامير فقرض له ولجماعة أهل بيته. وأنشا جحدر يقول

ياجملُ انك لو رأيت بسالتى * فى يوم هيج مردف وعجاج
وتقدمى لليث أرسفُ نحوه * حتى أكابده على الاحراج
جهمٌ كان جبينهُ لمابدا * طبقُ الرحا متفجر الانباج
يرنوا بناظرتين تحسب فيهما * من ظن خالهما شعاع سراج
شثن براسنه كأن نيوبه * زرق المعاول أوشذاذ زجاج
وكانما خيطتْ عليه عباءة * برقاء أو خلق من الديباج
قرنان محتضران قد ربتهما * أم المنية غير ذات نتاج
وعلمت أنى ان أبيت نزاله * أنى من الحجاج لست بناج
فمشيت أرسف فى الحديد مكبلا * بالموت نفسى عند ذاك أناجى
والناس منهم شامتٌ وعصابة * عبراتهم لى بالحلوق شواجى
ففقئت هامته فخر كانه * أطمٌ تقوض مائل الابراج
ثم انثنيت وفى قميصى شاهدٌ * مما جرى من شاخب الاوداج
أيقنت أنى ذو حفاظ ماجدٌ * من نسل أملاك ذوى أتواج
فلئن قذفتُ الى المنية عامدًا * انى لخيرك بعد ذلك راجى
علم النساء باننى لا أنثنى (١) * اذ لا يثقن بغيرة الازواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال. خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذى أردته فسرت أيا ما لا أدرى أين أتوجه حتى نفد زادى فجعلت أكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة

---

١ المشهور فى رواية البيت من بغار على النساء حفيظة البيت الخ

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى . يا ابن العم أين تريد . فقلت أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق . فقال أجل ان بينك و بين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسى حشيشا و جاء الىّ بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج نارا و جعل يكبب لى و يطعمنى حتى اكتفيت فلما جن الليل قام وفرش لى وقال . قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك فقمت و وضعت رأسى فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم ترعيناى مثلها قط حسنا و جمالا فقعدت الى الفتى و جعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له . ممن الرجل . قال أنا فلان بن فلان . فانتسب لى فعرفته فقلت له . و يحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان فقال . أنا والله أخبرك كنت عاشقا لابنة عمى هذه التى رأيتها وكانت هى أيضا لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس فاتيت عمى فسالته أن يزوجنيها فقال . يا بنى والله ما سالت شططا وما هى بأثر عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشئ وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن أنظر غيرها فى قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك فقلت . لا حاجة لى فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم وزوجهار جلا من ضعيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا — وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا — فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا فقلت لها . لا تخبرى أحدا انى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت . أنا رجل من الازد أصبت دما وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت ان تعطينى من غنمك شيئا فاكون فى جوارك وكنفك فافعل قال . نعم وكرامة فاعطانى مائة شاة وقال لى . لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى قال . فاقمت عنده أياما فبينا أنا نائم اذ نبهنى وقال . يا أخا بنى عامر . قلت له . ما شانك قال ان ابنة عمى قد بطات ولم تكن هذه عادتها و والله ما أظن ذلك الا لامر حادث فحدثنى . فجعلت احدثه . فانشا يقول

ما بال ميـة لا تاتى كعادتها ... هل هاجها طربٌ أوصدها شغل

لكنّ قلبى لا يعنيه غيركم ... حتى الممات ولا لى غيركم أمل

لو تعلمين الذى بى من فراقكم ... لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسى فداؤك قد أحلت بى حرقا تكاد من حرّها الاحشاء تنفصل

لو كان عادية منه على جبل لزلّ وانهدّ من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو الحى فابطا عنى ساعة ثم أقبل ومعه شىء وجعل يبكى عليه. فقلت له . ماهذا قال هذه ابنة عمى افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالقرب منى فاوجع والله قلبى ثم تناول سيفه ومر نحو الحى فابطا هنيهة ثم أقبل الى وعلى عاتقه ليث كانه حمار فقلت له . ماهذا . قال . صاحبى . قلت . وكيف علمته . قال . انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه وعلمت انه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصدا الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر فى الارض فامعن واخرج ثوبا جديدا وقال . يا أخا بنى عامر اذا أنا مت فادرجنى معها فى هذا الثوب ثم ضعنا فى هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كنا على ظهرها والعيش فى مهل والدهر يجمعنا والدار والوطن

فخاننا الدهر فى تفريق الفتنا واليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال

ألا أيها الليث المدل بنفسه هبلت لقد جرت يداك لنا حزنا

وغادرتنى فردا وقد كنت آلفا وصيرت آفاق البلاد لنا سجنا

أأصحب دهرا خاننى بفراقها معاذ الهى أن أكون له خدنا

ثم قال . يا أخا بنى عامر اذا فرغت من شاننا فصح فى أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما فى ذلك الثوب ووضعتهما فى تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما وردت الغنم الى صاحبها وسالنى القوم فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيما له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندى ما كان قال الحجاج اطلبوا الى شهاب بن حرقة السعدى فى الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه فى الاسرى فلما ادخل على الحجاج قال له من أنت قال أنا شهاب بن حرقة قال والله لاقتلنك قال لم يكن الامير بالذى يقتلنى قال ولم قال لان فى خصالا يرغب فيهن الامير قال وما هن قال ضروب بالصحيفة هزوم للكتيبة أحمى الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر غير بطىء عن النصر قال الحجاج ما أحسن هذه الخصال فاخبرنى باشد شىء مرّ عليك قال نعم أصلح الله الامير

بينا أنا أسير * ومركبي وثير * في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي
يمضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل * أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم
فسرت خمسا عوما * وبعد خمس يوما * حتى وردت أرضا * ما ان ترام عرضا
من بلد البحرين * عند طلوع العين * فهجتهم نهارا * التمس المغارا
حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر * اذا أنا بعير * يقودها خفير
موقرة متاعا * مقبلة سراعا * فصلت بالسنان * مع سادة فتيان
فسقتها جميعا * أحثها سريعا * أريد رمل عالج * أمعج بالعناجج
أسير في الليالي * خرقا بعيدا خالي * وقد لقينا تعبا * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا * عنت لنا يدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهمه كالترس * حتى اذا ما أمعنت * بالقفر ثم درمت
وردت قصرا منهلا * في جوفه طام حلا * وعنده خيمه * في جوفها نعيمه
عزيزة كالشمس * فاقت جميع الانس * فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردت * في لطف وحيت * فقلت يا عوب * والطفلة العروب
هل عندكم قراء * اذ نحن بالعراء * قال نعم برحب * في لطف وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيدا * حتى يجئك عامر * مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب * في باطن الكثيب * حتى رأيت عامرا * يحمل ليثا خادرا
على عتيق سابح * كمثل طود اللامح

قال . وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ثم قال . ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم أيها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها نارا وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الامير اسمع للحم الاسد لشيشا فقالت له نعيمة قد جاء ناضيف وأنت في الصيد . قال . فما فعل . قالت . ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فاومات الى فاتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فاكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى زق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها . فقال . ويلك احفظ المصاحبة قلت لا بد من الجارية

فالتفت اليها وقال لها قفى ثم قال يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه . وأنشا يقول

انك ياعاصم بى لجاهل ... اذ رمت أمرا أنت عنه ناكل
انى كمىٌّ فى الحروب باسل ... ليث اذا اصطك الليوث بازل
ضراب هامات العدى منازل ... قتال أقران الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فقال أنا صابر بن حرقة فشد عليه وأنشا يقول

انك والاله لست صابرا ... على سنان يجلب المقادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا ... فى كف قرم يمنع الحرائرا
انى اذا رمت امرأ فآسرا ... يكون قرنى فى الحروب بائرا

ثم طعنه فقتله وقال . يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت . احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشا يقول

الآن طاب الموت ثم طابا ... إذ تطلبون رخصة كعابا
ولا تريد بعدها عتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على أصحابى فقلت . يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال . ما كان أحسن هذا لو كان أولا وتزلنا وسالمنا ثم قلت يا عامر بحق المماحلة من أنت قال أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر مامر بنا انسى غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج الآن ياعدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال . كان خروجى على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفى عنى الامير رجوت أن لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه ووصله ورده الى بلده

(ضده)

قال . دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له بلغنى انك

تجيد وصف الاسد . فقال له . لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مخبرا لا يزال ذكره يتجدد على قلبي قال هات ما مر على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من افناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخرو ّط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وضايق العصفور الضب في ّ وجاره . قال قائلنا . أيها الركب غو ّروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الظل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا باصول دوحات كنهبلات فاصبناه من فضلات المزاود وأتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حر ّ يومنا ومما طلته ومطاولته اذ صر ّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مال بث أن جال فحمحم و بال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لا شك فيه ففزع كل امرىء منا الى سيفه واستله من جربانه ثم وقفنا له رزدقا فاقبل يتظالع في مشيته كانه مجنوب أو في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط . ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كانما يخبط هشيما أو يطاصر يما واذا هامة كالمجن ّ وخد كالمسن ّ وعينان سجراوان كانهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغيط وزور مفرط . وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراسن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مغلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ّ ثم مثل فاكفهر ّ ثم لجهم فازبأ ّر فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه باول أخ لنا من بني فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقصعه ـ فقضقض متنه و بقر بطنه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لاي ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كان به شيهما حوليا فاختلج من دوني رجلا أعجز ذا حوايا فنفضه نفضة فنزاليت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبر بر ثم زأر فجر جر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله و يمينه فارتعشت الايدي واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون . وأنشا يقول

عبوس ٌ شموس ٌ مصلخد ٌّ خنابس ٌ ... جريء على الارواح للقرن ِ قاهر
منيع ويحمى كل ّ واد يرومه ... شديد أصول ِ الماضغين ِ مكابر
براثنه شثن ٌ وعيناه في الدجى ... كجمر الغضا في وجهه الشر ّ ظاهر

يدلُّ بانياب حداد كانها إذا قلص الاشداق عنها خناجر

فقال عثمان . اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كانى أنظر اليه يريد يواثبنى . وقيل فى المثل هو أجبن من هجرس - وهو القرد - وذلك أنه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب وحدثنا رجل بمكة قال . اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحدا فى أثر واحد فى يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت مع الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبنا وقيل . هو أجبن من صافر . وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل أيضا هو أجبن من المنزوف ضرطا . وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فنزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح ويقول لولعادية نبهتنى - أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجرب به فأتينه كما كن يأتينه فايقظنه فقال لولعاديه نبهتنى فقلن له . نواصى الخيل معك فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط . حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت فغضب الامير عليك . قال يغضب الامير وأناحى أحب الىّ من أن يرضى وأنا ميت وقيل لبعض الجبان مالك لا تغزو . قال والله انى لا بغض الموت على فراشى فكيف أمر اليه ركضا . قال وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة بصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت قط . قال لا أيها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك . قال انتبهت وأنا منهزم ومما قيل فى ذلك من الشعر

ظلت تشجعنى هند بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتى شجاعا لغير العتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
الحرب توسع من يصلى بها حربا يتم العيال و إثكال الثاكيل
اسم الوغى اشتق من غوغاء يحربها يغدون للموت كالطير الابابيل
والله لو أن جبريلا تكفل لى بالنصر ما خاطرت نفسى لجبريل
هل غير أن يعذرونى أننى فشل فكل هذا نعم فاغروا بتعزيلى
ان أعتذر من فرارى فى الوغى أبدا كان اعتذارى رديدا غير مقبول
اسمع أخبرك عن باسى بذى سلب خلاف ناس المساعير البهاليل

لما بدت منهم نحوى عشوزنة ... شماء تشرع فى عرضى وفى طولى
فقلت ويحكم لا ترهبوا جلدى ... رمحى كسير وسيفى غير مصقول
لما اتقيتهم طوعا بذات يدٍ ... وانصعت اطوى الفلا ميلا الى ميل
الله خلصنى منهم وفلسفتى ... حتى تخلصت مخضوب السراويل

(وقال آخر)

أضحت تشجعنى هندٌ فقلت لها ... ان الشجاعة مقرونٌ بها العطب
لا والذى حجت الانصار كعبته ... ما يشتهى الموتَ عندى من له أرب
للحرب قومٌ أضلَّ الله سعيهمْ ... اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا
ولست منهمْ ولا أهوى فعالهم ... لا القتل يعجبنى منهم ولا السلب

(وقال آخر)

يقول لى الامير بغير جرم ... تقدم حين حل بنا المراس
فما لى ان أطعتك فى حياة ... ولا لى غيرهذا الراس راس

(محاسن حب الوطن)

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء . وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان . وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة بيل المطر وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها . ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهى . فقال مخيض مار ويا وضبا مشويا . وقد قيل أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه . وقيل احفظ ارضا ارسخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه . وقيل لا تشك بلدا فيه قبائلك . وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة وحدثنا بعض بنى هاشم قال قلت لاعرابى من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابتغى عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملوح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة . قلت مما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحدا أخصب منا عيشا فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل

لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شىء ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكانه فى ايوان كسرى . وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك . وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان . وقيل فما الذل قال التنقل فى البلدان والتنحى عن الاوطان . وقال بعض الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تهضمن عن وطنك وكرك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة . وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه . وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر . وكان يقال الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رمية . وأحسن من ذلك واصدق قول الله عز وجل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدست أسماؤه (ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة . ومما قيل فى ذلك من الشعر

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعى ... وأضحى فؤادى نهبة للهمائم
حنينا الى أرض بها اخضر شاربى ... وحلت بها عنى عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حق التقادم

(وقال آخر)

أحن الى أرض الحجاز وحاجتى ... قيامٌ بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بنافعى ... أجل لا ولكنى على ذاك أنظر
فى كل يوم نظرة ثم عبرةٌ ... لعينيك يجرى ماؤها يتحدر
متى يسترح قلبٌ فاما محاذرٌ ... حزين واما نازحٌ يتذكر

(وقال آخر)

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبُّ الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لاول منزل

وقال ابن أبى السرح قرأت على حائط بيتى شعر . وهما

ان الغريبَ ولو يكونُ ببلدة يجبى اليه خراجها لغريبُ
وأقل مايلقى الغريب من الاذى أن يستذلَّ وأن يقالَ كذوب

قال وقرأ على حائط بعسكر مكرم

ان الغريب اذا ينادى موجعا عند الشدائد كان غير مجابِ
فاذا نظرت الى الغريب فكن له مترحما لتباعد الاحباب

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريب الدار ليس له صديق جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شيء كما يتعلق الرجل الغريق
لاتجزعْ فكلُّ فتى سيأتى على حالاته سعةٌ وضيق

قال ووجدت على حائط باب مكتوب

عليك سلام الله ياخير منزل رحلنا وخلفناك غير ذميم
فان تكن الايام فرّقن بيننا فما أحدٌ من ريبها بسليم

(وقال آخر)

وان اغتراب المرء من غير حاجة ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيب
فحسب امرىء ذُلا ولو أدرك الغنى ونال ثراه أن يقال غريب

(وقال آخر)

ان الغريب وان يكن فى غبطة لمعذب وفؤاده محزون
ومتى يكون مع التغرُّب عاشقا ومفارقا يارب كيف يكون

(وقال آخر)

ان الغريب ذليل أين ماسلكا لو أنه ملك كلَّ الورى ملكا
اذا تغنى حمام الايك فى غصن حن الغريب الى أوطانه فبكى

(وقال آخر)

سل الله الاياب من المغيب فكم قد ردَّ مثلك من غريب
وسل الحزن منك بحسن ظنّ ولا تياس من الفرج القريب

(وقال آخر)

تصبرْ ولا تعجلْ وقيت من الردى لعل اياب الظاعنين قريب

فقلت وفى قلبى جوًى لفراقها ألا لا تصبرنى فاست أجيب

(وقال آخر)

أعاذل حبى للغريب سجيةٌ * وكلُّ غريب للغريب حبيب
لئن قلت لم أجزع من البين ان مضوا * لطيبهم انى اذاً لكذوب
بلى غرّات الشوق أضرمت الحشا * ففاضت لها من مقلتىّ غروب

(وقال آخر)

اذا اغترب الكريم رأى أمورا * مجللة يشيب لها الوليد

(وقال آخر)

ما كنت أحسب أن يكو * ن كذا تفرُّقنا سريعا
بخل الزمان علىّ أن * نبقى كما كنا جميعا
فاحلنى فى بلدة * وأحلك البلد الشسيعا
قد كنت أنتظر الوصا * ل فصرت أنتظر الرجوعا

(وقال آخر)

نسيم الخزامى والرياح التى جرتْ بنجد على نجد تذكرنى نجدا
أتانى نسيم السدْ رطيبا الى الحمى فذكرنى نجدا فقطعنى وجدا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بايمن طالع وابشر طائر . ولا كبا بك مركب ولا أشت بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب . سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . كان الله لك فى سفرك خفيرا وفى حضرك ظهيرا بسعى نجيح وأوب سريح . بصرك الله محالك وهداك رحلك وسر باوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا باسعد جد وأنجح مطلب واسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة . شخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آيبا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة . فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه . وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم . انى أريد سفرا . فقال . فى كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك . وقال الشاعر

فى كنف الله وفى ستره من ليس يخلوا القلب من ذكره

وقال آخر

إرحل أبا بشر بأيمن طائر وعلى السعادة والسلامة فانزل

(ضده)

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيراً . وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن . وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة . وقيل الفقير فى الاهل مصروم والغنى فى الغربة موصول . وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما . وقيل أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم انسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك . وأنشد

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر

نبت بك الدار فسر آمناً * فللفتى حيث انتهى دار

وفى معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشام والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به أمنيته ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف . ويقال أن عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليثا أبعده الله وأسحقه واوقد على أثره وأحرقه . لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله ولا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما الا فرج الله له غمه ولا سرى همه لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا اورى زنده . جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق . وانشد

بانكد طائر وبشر فال * لا بعد غاية وأخس حال

بحد السد حيث يكون منى * كما بين الجنوب الى الشمال

غريبا تمتطى قدميك دهراً * على خوف تحن الى العيال

وقال آخر

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا درت السحاب

وحيث لا تبتغى فلاحاً وحيث لا يرتجى اياب
وحيث مادرت فيه يوما قاتلك الذئب والغراب

وقال آخر

فسر بالنحوس الى بلدة تعمر فيها ولا ترزق
ولا تمرع الارض من زهرة ولا يثمر الشجر المورق
تغيض البحار بها مرّة ويكدى السحاب بها المغدق

وقال آخر

أدنى خطاك الهند والصين وكلّ نحس بك مقرون
بحيث لا يأنس مستوحش وحيث لا يفرح محزون
تهوى بك الارض الى بلدة ليس بها ماءٌ ولا طين

(محاسن الدهاء والحيل)

الهيثم بن الحسن بن عمار . قال قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعى فلما رأى ما تصنع سوقه المختار من الاعظام جعل يقول . يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ما هذا الذى بلغنى عنك . قال الباطل . فامر بضرب عنقه : فقال . لا والله لا تقدر على ذلك . قال . ولم . قال . اما دون ان أنظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبنى على شجرة على نهر والله انى لاعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم . ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه . فقال يا أخا خزاعة أو مزاح عند القتل . قال . أنشدك الله ان أقتل ضياعا . قال . وما تطلب ههنا . قال . أربعة آلاف درهم اقضى بها دينى . قال . ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه قال كان سراقة البارقى من ظرفاء أهل الكوفة فاسره رجل من أصحاب المختار فاتى به المختار فقال له أسرك هذا قال سراقة كذب والله ما اسرنى الا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما افلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغْ أبا إسحاق أنى * رأيتُ البلق دهما مصمتات
أرى عيـنىّ مالم ترأياهُ * كلانا عالـمٌ بالـترّهات
كفرتُ بوحيكم وجعلت نذرا * علىّ قتالـكم حـتى الممات

وعنه قال . كان الاحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شـديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقة . أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار . قال سا كفيكه فبينما هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقـة دابتـه نحوه وواقفـه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ماخـبرّك الراكب . قال . زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة قال بعيد . قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر وكان الاحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا نتغذى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجـه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فاعلموه أنه لا أصل للخبر فقال للاحوص من أعلمك بهذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلى فارسل اليه من أتاه به قال أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير قال له الاحوص أتـكذبنى بين يدى الامير قال خالد ويحك أصدقنى قال نعم أخرجنا فى هـذا البرد وهـو ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فاحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا ممـا يتلاعب به وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقةُ عنينٌ فقلتُ لهمْ * اللهُ يعـلمُ أنى غـير عنينِ
فان ظننتم بى الشىء الذى زعموا * فقربونى منْ بنتِ ابن ياسين

وذكروا أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات . فقال له ياغلام اخرج انى أسالك فعرفه الغلام فقال له انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خـدعتنى ورب الـكعبة ووكل به رجـلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنـا يزيدُ والبطين وقعنبٌ * ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فامر بطلب قائله فاتى به فلما وقف بين يديه قال أنت القائل « ومنا أميرُ المؤمنـين شبيب »

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت « ومنا أميرَ المؤمنين شبيب »

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سـبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع

الى النصب . وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ما يبكيك . قالت أبكى لفراقى بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل و وددت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته فمضى الى هنالك فما شعر بشئ حتى هجم عليه فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المسارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاستنقذ الجارية . وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحابه خل عنها ومعه قوس فرمى بها وها بالاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وترقد أعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاة وخليا عن الجارية . وعن الهيثم قال كان الحجاج حسودا لا يتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم يرمنه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به و يقول أيها الامير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك و يمنك ومشورتك و رأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك منى ومن ابن أشعث وما خطرة حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره و يعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج . قام عمارة . فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى و بلائى قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن باسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق فى الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا أمير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدبير الذى قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حران سار تحت راية الحجاج أبدا قال انى أعلم انه ماخرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندى العتبى وارسل اليه ارجع اليه فقال ما كنت أظن ان

عقلك على هذا ارجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولى عند أمير المؤمنين ماقلت فيه لا مه ولا كرامة.

(ضده)

قيل فى المثل . هو أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له ماسميت فرسك ففقأ عينه . وقال سميته الاعور . فقال الشاعر فيه

رمتنى بنو عجلٍ بداءِ أبيهمُ * وأى امرئ فى الناس أحمق من عجلِ
أليس أبوهمْ عارَ عينَ جواده * فصارت به الامثال تضرب فى الجهلِ

وقيل هو أحمق من هبنقة و بلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادى من وجد بعيرى فهوله فقيل له ولم تنشده قال وأين حلاوة الظفر والوجدان . واختصمت اليه الطفاوة و بنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين أذهبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبيا رسب وان كان طفاويا طفى فقال الرجل لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان . وقيل هو أحمق من دغة وهى مارية بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاح الولد فجاءت منصرفة فصاحت يا أماه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم و يدعو أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء . وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيروه بذلك قال الشاعر

يلومون فى حمقه باقلاً * كان الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العذل فى عيه * فللصمت أجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان * أحبُّ الينا منَ المنطق

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا ثابت العقل كم عاينت ذا حمق * الرزق أغرى به من لازم الجرب
فانى واجدٌ فى الناس واحدةً * الرزق أروع شىء عن ذوى الادب
وخصلة ليس فيها من يخالفنى * الرزق والنوك مقرونان فى سبب

وقال آخر

أرى زمنا نوكاه أسعد خلقه * على أنه يشقى به كلُّ عاقل
علا فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال آخر

كم من قوىٍ قوى فى نقلبه * مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف

(محاسن المفاخرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا من شعر

انى امرؤٌ حميرىٌّ حين تنسبنى * لا من ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له ذلك ألأمٌ لك وأبعد عن الله ورسوله . وقال بعضهم

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى خازمٌ وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريَّا قاعدا غير قائم

شعيب بن ابراهيم عن علىّ بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال مرّ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أفانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم شعوبا فجعلنى فى خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم والدا وانى مباهله لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا . وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة . قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى . قال وأى هامتها قالوا ذهل . قال ذهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل الاكبر . قال فمنكم عوف الذى كان يقال لا حرَّ بوادى عوف قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا

قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار . قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا . قال أفانتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا . قال أفانتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا . قال فلستم من ذهل الاكبر اذا أنتم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابى غلام حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نساله * والعبء لا تعرفه أو تحمله

ياهذا انك قد سالتنا أى مسالة شئت فلم نكتمك شيئا فاخبرنا ممن أنت . فقال أبو بكر من قريش فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فاخبرنى من أى قريش أنت . قال من بنى تيم بن مرة . قال أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع قال أبو بكر لا قال أفمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا . قال أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء فى الليلة الداجية مطعم الطير قال لا . قال أفمن المفيضين بالناس أنت . قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أما والله لو شئت لاخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب . فقال الاعرابى

صادف درّ السيل درّ يدفعه * فى هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال على كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة قال أجل . يا أبا حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق . قال وأتى الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر معاوية بانزاله فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم ومجدهم اذ قال معاوية قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن ابن على وعبد الله بن عباس لقصر وا من أعنتكم . فقال زياد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم فى عذب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ما تقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وأوقع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لا بدّ أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال ياحسن انا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى

الوغاء وأوفى عهدا وأكرم خيما وأمنع لما وراءظهورهم من بنى عبد المطلب . ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا . ثم تكلم زياد فقال ماينبغى لهم أن ينكروا الفضل لاهله و يجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديما وحديثا . فتكلم الحسن بن على رضى الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الافك ان ينطق الرجل بالخنا و يصور الكذب فى صورة الحق باعمر وافتخارا بالكذب و جراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأبناء الطعان و ربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة و زعمتم أنكم احمى لما وراءظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبى صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراءظهوركم من بنى عبد المطلب ثم قال وأما أنت يامروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب فى خزاية الى سوءة وقد أوتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد ميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الاول

بصبصن ثم رمين بالابعار

فلما من عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ماضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعدنا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد وقال وما أنت يازياد وقريش ما أعرف لك فيها أديما صحيحا ولا فرعا نابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتا كريما كانت أمك بغيا يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا فادعاك هذا - يعنى معاوية - فما لك والافتخار تكنفيك سمية و يكنفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزة سيد الشهداء و جعفر الطيار فى الجنة وأنا وأخى سيدا شباب أهل الجنة . ثم التفت الى ابن عباس فقال انما هى بغاث الطير انقض عليها البازى فاراد ابن عباس أن يتكلم فاقسم عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمر والكلام أولا لولا ان حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال مادعاك الى محاورته ما كنت الا كالحجل فى كف العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا . قال معاوية اذا كنت شريككم فى الجهل أفافاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم

والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السواء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطئ البازل القراد بمنسمه فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لا شهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى والله مازال يحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى اظنك تعبا نصبا فات المنزل فارح نفسك فقام الحسن رضى الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولا بيك فى الاسلام نصيب وافر. فقال ابن الزبير أناله ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وساله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن على فى باسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهى نجيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أننى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتى صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس باسا وأكرمهم حسبا فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سابين ذلك لتعلم انى لست بالكليل أيا ى تعير وعلى تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفى الاشراف ساداتها نحن أكرم أهل الارض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بترة وبداجيني المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل أحن وتر فكيف لا تكون كما أقول وقد بايع أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحوا لاعنة ورأى بريق الاسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأنى بك أسيرا وقد وطئتك الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته

الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الامة والينا تلقى مقاليد نصول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بنى الانبياء لم تزل الاقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى ابيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيرا تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فانت عتاقة أبى وأنا سيدك وأبى سيد أبيك فذق وبال امرك فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هذا وأشباهى الاغراء بيننا فهلا اذ جهلت أمسكت عنى فانكم اهل بيت سجيتكم الحلم . قال الحسن يا معاوية انظر أاكع عن محاورة احد ويحك أتدرى من اى شجرة انا والى من أنتمى انته قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان فى آفاق البلدان . قال ابن الزبير هو لذلك اهل فقال معاوية اما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على احد بعد هذا . وذكروا ان الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام جرى من معاوية فى ذلك

فيما الكلام وقد سبقت مبرزا * سبق الجواد من المدى والمفوس

فقال معاوية . اياى تعنى والله لاتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن اجودها جودا واكرمها ابوة وجدودا واوفاها عهودا انا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال الحسن . اجل اياك أعنى افعلى تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كابى او قديم كقديمى فان تقل لا تغلب وان تغل نعم تكذب فقال . اقول لا تصديقا لقولك . فقال الحسن رضى الله عنه

ألحق أبلج لا تزيغ سبيله * والحق يعرفه ذو والالباب

قال . وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم اخبرونى باكرم الناس اباوا اما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة . فقام مالك بن عجلان واومى الى الحسن بن على صلوات الله عليه فقال . هو ذا ابوه على بن ابى طالب وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته ام هانئ بنت ابى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد . فسكت القوم ونهض الحسن فاقبل عمرو بن العاص على مالك فقال . أحب بنى هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل . فقال ابن عجلان ما قلت الا حقا وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط امنيته فى دنياه وختم له بالشقاء

فى آخرته بنو هاشم أنضركم عودا وأوراكم زندا أكذلك هو يامعاوية . قال اللهم نعم . قال واستاذن الحسن بن علىّ رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فاذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاءكم الفهه العي الذى كان بين لحييه عقلة . فقال عبد الله بن جعفر . مه والله لقد رمت صخرة ملمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع فى لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور . ثم أنشا يقول

أتامرُ يامعاوىَ عبد سهم * بشتمى والملا منا شهودُ
اذا أخذتْ مجالسها قريش * فقد علمتْ قريشٌ ماتريد
أأنت تظلُّ تشتمنى سفاهاً * لضغن مايزولُ ولا يبيد
فهل لكَ من أب كابى تسامى * به من قدْ تسامِى أوتكيد
ولا جد كجدّى يا ابن حرب * رسولِ الله ان ذكر الجدودُ
ولا أمٌّ كامى منْ قريش * إذا ماحصلَ الحسب التليدُ
فما مثلى تهكمَ يا ابن حرب * ولا مثلى ينهنهه الوعيدُ
فمهلا لا تهيجْ منا أمورا * بشيب لهوْلها الطفل الوليدُ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن على فامره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فامره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب انا ابن أول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وأمعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية فقال ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك . قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أبا وأما ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدرى لعله فتنة لكم

ومتاع الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو . ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون أحدا مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلدا كم العار عند أهل الشام - يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس - فقال مروان ياحسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية اذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لولا ذلك لاراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك يامروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ماهالهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضاربة الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا واخذت أسيرا فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوار أنهريق دمي فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو اثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذاك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وأنت معه أقصر يدا وأضيق باعا وأجبن قلبا من ان تجسر على ذلك ثم تزعم انك ابتليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشانه واشكر لنا اذ ولينا هذا الامر فتى بداله فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لا عنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستاصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا تنتفع بتدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الاكابر وفروعنا السادة الاخيار الافاضل انطق ان كنت صادقا . فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم أنشا يقول

قد يضرط العير والمكواة تاخذه * لا يضرط العير والمكواة في النار

ذق وبال أمرك يامروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تابى

الا انهما كافيا لا يعنيك اربع على نفسك فليس أبوه كابيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان أرم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت اعنتك وقام مغضبا فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار قال ولقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليهما السلام فى الطواف فقال يا حسن أزعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبابيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله وبينا بعد خفائه أفيرضى الله قتل عثمان أم من الحق ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لاثم للشعث وأسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلوات الله عليه ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهى الالحاد فى دين الله والموالاة لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان عليا لم يتريث فى الامر ولم يشك فى الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لاقرعن قصتك - يعنى جبينه - بقراع وكلام واياك والجراءة على فانى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة - يعنى العظام - ولا بمرىء المأكلة وانى لمن قريش كاوسط القلادة معرق حسبى لا أدعى لغير أبى وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمهم حسبا وأعظمهم العنة فاياك عنى فانما انت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . قال واجتمع الحسن بن على صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش باسرها انى منها فى عزأرومتها لم أطبع على ضعف ولم اعكس على خسف اعرف نسبى وادعى لابى فقال عمرو وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها الشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لا كبسن لك حافة كجلد العائط اذا عتاطت رحمها فما تحمل أرميك من خلالها باحرمن وقع الاثافى اعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت فى اعراض الوعر التماسا للفرقة وارصادا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طال ما ناخر شاوك واستسرداؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها ورعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان اذا التفت حلقتا البطان . ابن المنذر عن أبيه عن الشعبى عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن على رضى الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ من قنبرة بمعمرٍ * خلالكِ الجوفبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى * قدذهبَ الصيادعنك فابشرى
لابدمن أخذكِ يوما فاصبرى

خلت الحجاز من الحسين بن على واقبلت تهدر فى جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان فى حال شك وأنا من ذلك على يقين قال وباى شىء استحق عندك انك بهذا الامر أحق منى فقال ابن عباس لانا احق بمن يدل بحقه وباى شىء استحق عندك انك احق بها من سائر العرب الا بنا فقال ابن الزبير استحق عندى انى احق بها منكم لشرفى عليكم قديما وحديثا فقال انت اشرف ام من شرفت به فقال ان من شرفت به زادنى شرفا الى شرفى قال فمنى الزيادة ام منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعنى من لسانك هذا الذى تقلبه كيف شئت والله يا بنى هاشم لاتحبوننا ابدا قال ابن عباس صدقت نحن اهل بيت مع الله لانحب من ابغضه الله قال يا ابن عباس اما ينبغى لك ان تصفح عن كلمة واحدة قال انما يصفح عمن اقر وأما من هرفلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير فاين الفضل قال عند أهل البيت لانصرفه عن اهله فتظلم ولا تضعه فى غير اهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من اهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجد وانقضى حديثهما وروى عن ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بنى امية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال يا ابن عباس من الناس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا احد قال فانك ترى انى قعدت بهذا المقعد بكم قلت نعم فيمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بنى امية قلت من كفاعليه اناءه واجاره بردائه قال فغضب وقال ارحنى من شخصك شهرا فقدامرت لك بصلتك واضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسالونى ما الذى اغضب معاوية قالوا بلى فقل بفضلك قال ان اباه حرب لم يلق احدا من رؤساء قريش فى عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم فى عقبة فتقدمه التميمى فقال حرب انا حرب بن امية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمى ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرنى من حرب بنى امية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب اجل قدرا من ان يجير على حرب فاتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاء نا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد اجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه فقال التميمى

لاقيت حربا فى الثنية مقبلا * والصبح ابلج ضوؤه للسارى
فدعا يصوت واكتنى ليروعنى * وسما علىَّ تموّ ليث ضارى

فتركته كالكلب ينبح ظله * وأتيت قرم معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بعزه * رحب المباءة مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة و بزمزم * والبيت ذى الاحجار والاستار
ان الزبير لما نعى من خوفه * ما كبر الحجاج فى الامصار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرنى من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فالقى عليه رداء كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب الفمقام ليس يدعى ولا دنى لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء عمها بالذليل و يأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى باى قدر تتعرض للرجال وباى حسب تعتد به عند النضال ابنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما ساس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر أقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت فقال ابن عباس دعنى والعبد فانه قد يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا وقد أتيح له ضيغم شرس اللاقران مفترس وللارواح مختلس فقال ابن العاص دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقدما قد قرعت وقارعونى * فما نزر الكلام ولا شجانى
يصد الشاعر العراف عنى * صدود البكر عن قرم هجان

قال و بلغ عاتكة بنت عاتم (١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لاهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت وملّكت وفضلت وفضلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسر واطاغين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلما وأكثر الناس علما وعطاء منا عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قريشٌ بيضة فتفلقت * فالمخّ خالصها لعبد مناف

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه . يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث وفيه يقول أبو طالب

ونحن سنىُّ المحل قام شفيعنا * عكة يدعو والمياه تغور

وابنه أبو طالب عظيم قريش وفيه . يقول الشاعر

آتيته ملكا فقام بحاجتى * وترى العليَّج خائبا مذموما

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رديف رسول الله لم نر مثله * ولا مثله حتى القيامة يولد

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه . يقول الشاعر

أبا يعلى بك الاركان هدت * وأنت الماجد البرُّ الوصول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة وفيه . يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل علينا * كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا أبو الحسن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم وأكرم من احتبى وانتعل وفيه . يقول الشاعر

علىٌّ ألف الفرقان صحفا * ووالى المصطفى طفلا صبيا

ومنا الحسن بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة وفيه . يقول الشاعر

يا أجلَّ الانام يا ابن الوصىّ * أنت سبط النبى وابن علىّ

ومنا الحسين بن علىّ حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

---

(١) هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتمه بنت عاتم . وفى المسامرات غانمه بنت غانم

حبُّ الحسين ذخيرةٌ لمحبه * يارب فاحشرنى غدا فى حزبه

يا معشر قريش والله ما معاوية كامير المؤمنين علىّ ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنى آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عثمان فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يامرك أن تنتقلى الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلاءك الله قال أنا يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص است بزائد فتغير لون يزيد وأتى أباه فاخبره فقال هى أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيدكم تعد لها قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهى من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أنا ذا قالت أنت تسب قريشا وبنى هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو أبى والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك وأنى اذكر ذلك ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها فى يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاويا غير مرشد ومفسدا غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يا معاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى نعمة فما لك ولبنى هاشم أنساؤك كنسائهم أم أعطى أمية فى الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بنى هاشم قالت فانى أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يستجيب لى خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية فحلف ان لا يسب بنى هاشم أبدا فهذا ما كان بين معاوية وبين بنى هاشم من المفاخرة . قال وكان على بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فاخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية فبينا هو على ذلك اذ نادى المنادى بالاذان فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال علىّ

هذى المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فقال . عبد الملك الحق فى هذا أبين من ان يكابر . علىّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضى . فقال يا علىّ من أشعر الناس فى زماننا . قلت . البحترى . قال . وبعده قلت مروان بن أبى حفصة عبدك فالتفت الى الرضى فقال . يا ابن عم من أشعر الناس . قال على ابن محمد العلوى قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما معنى قوله - نداء الصوامع - قال الشهادة . قال وايبك انه أشعر الناس

ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا

بلغنا السماء بانسابنا * ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا * بحسن البلاء كشفنا البلاء
اذا ذكر الناس كنا ملوكا * وكانوا عبيدا وكانوا اماء
يطيب الثناء لابائنا * وذكر علىّ يطيب الثناء
هجانى رجالٌ ولم أهجهم * أبى الله لى أن أقول الهجاء

(وقال آخر)

وانى من القوم الذين عرفتهم * اذا مات منهم سيدٌ قام صاحبهْ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقضّ كوكب * بدا كوكب تاوى اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مقاول لسنُ
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

(ضده)

عن ابن عباس رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية قال وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بالقذار . وقال بعضهم لرجل اتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار . وروى عن ابن عباس أنه قال الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق و يتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة . وقيل فى ذلك

يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال وما أقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى

وطغى . وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب . ألا ترى ان أخوين لاب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

أبوك أبي والجدُّ لاشك واحدٌ * ولكننا عودانِ آس وخروعُ

و بلغنا عن المدائني انه قال . ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين ابن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أراملِ قومه وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال . وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتاه اعرابي فقال بابي أنت وأمي يا رسول الله من أكرم الناس حسبا قال أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً . قال نعم يا رسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحد أبدا . وقال الشاعر في ذلك

ولم أرَ كالاسباطِ أبناء واحد * ولا كابيهم والداً حينَ ينسبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال أنا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم أنت اذا يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله . وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا ولفظا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال . يا معشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي وفارسي . ورومي فقال سهيل . يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تذموا أمير المؤمنين دعى القوم فاجابوا ودعيتم فابيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبو سفيان لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفا (فاما صناعات الاشراف) فانه روي ان أبا طالب كان يعالج العطر والبز وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين . وكان سعد بن أبي وقاص يعذق النخل . وكان أخوه عتبة نجارا . وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزارا . وكان الوليد بن المغيرة حدادا وكان عقبة بن أبي معيط خمارا . وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا . وكان أبو

سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم. وكان أمية بن خلف يبيع البرم. وكان عبد الله بن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل. وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك ابن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين. وكان المسيب أبو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا. وكان بن مالك بن دينار وراقا. وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا وكان مجمع الزاهد حائكا / قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو. هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك فقال. قتيبة أبى كان اشتربان وكان أبو يزيد بستانبان فهما صار ذلك كذلك. قال وذكروا ان المامون ذكر أصحاب الصناعات فقال. السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه ﴾

قيل - خطب سليمان بن عبد الملك فقال. الحمد لله الذى أقدنى من ناره بخلافته. وقال الوليد ابن عبد الملك لا شفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عندربى. وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما ارجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه أليس ابليس اذ قال (رب أنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقال أبو جعفر المنصور الحمد لله الذى أجارنى بخلافته وأقذنى من ناره. وحدثنى ابراهيم بن عبد الله عن أنس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى قالت أمات ابنى قال نعم. قالت أحق ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه ونابرحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضده ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه. يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيىء الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه اكراها ويوجر ايجارا حتى ينبت عليه لحمه

ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتاعطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون امانا تهم و يسرق أمتعتهم و يغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه

﴿ محاسن طلب الرزق ﴾

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفرا أحدث لك رزقا . وفى بعض الحديث سافروا تغنموا . وقال الكميت بن زيد الاسدى

ولن يزيح هموم النفس ان حضرت * حاجاتُ مثلك الا الرحلُ والجملُ

وقال أبو تمام الطائى

وطول مقام المرء فى الحىّ مخلقٌ * لديباجتيه فاغترب تتجددِ

فانى رأيتُ الشمسَ زيدت محبة * الى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنىّ عيال . وأنشد

فسر فى بلادِ الله والتمس الغنى * تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترضَ من عيش بدون ولا تنم * وكيفَ ينام الليلَ من كان معسرا

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض . وتقول من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا . ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام . هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول هرك روذ جردهرك خسبد خواب بيند . وأنشد

كفى حزنا أن النوى قذفت بنا * بعيدا وأن الرزق أعيت مذاهبه

ولو أننا اذ فرقَ الدهر بيننا * غنى واحد منا تموّل صاحبهُ

ولكننا من دهرنا فى مؤونة * يكالبنا طورا وطورا نكالبه

وقال آخر

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة * ومبلغ نفس عذرها مثلُ منجح

وقال آخر

وليس الرزق عن طلب حثيث * ولكن ادل دلوك فى الدلاء

تجئك بملئها وحينا وطورا * تجيء بحماة وقليل ماء

(ضده)

قيل . وجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس نارا فنودى بالنبوة و بلغنا عن ابن السماك أنه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت مسؤل عنه غدا واياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

انى علمت وعلم المرء ينفعه * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائرٌ * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

وقال آخر

سهل عليك فان الرزق مقدور * وكل مستانف فى اللوح مسطور
أتى القضاء لما فيه لمدته * وكل مالم يكن فيه فمحظور
لا تكذبنّ بخير القول أصدقه . ان الحريص على الدنيا لمغرور

وقال آخر

لا تعتبن على العباد فانما يأتيك رزقك حين يؤذن فيه

وقال آخر

هى المقادير تجرى فى أعنتها فاصبر فليس لها صبرٌ على حال
يوما تريش خسيس القوم ترفعه دون السماء ويوما تخفض العالى

وقال آخر

اصبر على زمن جم نوائبه فليس من شدة الا لها فرج
تلقاه بالامس فى عمياء مظلمة ويصبح اليوم قد لاحت له السرج

وقال آخر

ألارب راج حاجة لا ينالها وآخر قد تقضى له وهو آيس
يجول لها هذا وتقضى لغيره فتأتى الذى تقضى وهو جالس

وقال آخر

فلما أنْ عنيتُ بما ألاقى * وأعيتنى المسائلُ بالقروضِ
دعوتُ اللهَ لا أرجو سواهُ * وربُّ العرشِ ذوفرج عريض

وقال آخر

ياصاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ * أبشر بخير كأن قد فرَّج اللهُ
الياس يقطعُ أحيانا بصاحبه * لاتياسنَّ فان الصانع اللهُ
اذا ابتليتَ فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هواللهُ

وقال آخر

واذا تصبكَ من الحوادث نكبةٌ * فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشّفُ

(محاسن المواعظ)

قال الاصمعى حججت فنزلت ضرية فاذا اعرابى قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكب قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم أسراركم . أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا لانفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوىٌّ اقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه « وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النارِ وأدخلَ الجنةَ فقدْ فاز وما الحياةُ الدُّنيا الا متاعُ الغرُور » وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارداه ومن وكل به الموت أفناه . وقال اعرابى كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات و بسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحدا الا استدركه الموت . وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف ياسى المرء على ما فاته والموت يطلبه . وقال كسرى لم يكن من حقّ علمه أن يقتل وانى لنادم على ذلك (١) . قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد و يقدم على ملك عادل

(١ هكذا فى الاصل و فى العبارة نقص فليحرر

بغير حجة و يسكن قبرا موحشاً بغير أنيس

(ضده)

قيل . لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديدا فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعرا يعزيني به أو واعظ يخفف عني فاتسلى به . فقال رجل من أهل الشام . يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت أو بان يذهب الى مكان فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة . وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال ليت . اني وجدت انسانا يخفف عني مصيبتي فقال له الرسول أقول قال قل . قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

(محاسن فضل الدنيا)

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور ببلائها الى البلاء تخويفا وتحذيرا وترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم علات بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال يا أهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر . والله لو أذن لهم لاجابوا بان خير الزاد التقوى . وأنشد

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه . وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت . فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك . قالت اذا كان آخر النهار

جاءتنى امرأة متزينة فتضع بين يدى كوزا من ماء ورغيفين. قلت لها أتعرفينها . قالت اللهم لا . قالت هى الدنيا خدمت ربك جل ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك

(ضده)

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها . كلمى الامير . فقالت أ أوجز أم أطيل . قال بل أوجزى قالت . كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا قال . فامر لها باوساق من شعير فقالت . أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت فسر زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيد هذا الكلام ليدرس . فقال

سل الخير أهل الخير قد ما ولا تسل * فتى ذاق طعم الخير منذ قريب

ويقال . ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فالفاها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك . قالت ما من دار امتلأت سرورا الا امتلأت بعد ذلك ثبورا ثم قالت

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فاف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

قال . وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سببا لردها عليه . قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمى أى الزمان أدركت أفضل وأى ملوكه أكمل . قال أما الملوك فلم أر إلا ذاما وحامدا وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الامل . قال فاخبرنى عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

درج الليل والنهار على فهـ * ـم بن عمرو فاصبحوا كالرميم

وخلت دارهم فاضحت قفارا * بعد عز وثروة ونعيم

وكذاك الزمان يذهب بالنا * س وتبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا * يحبون الغنى من الرجال

وان كان الغنى أقل خيرا * بخيلا بالفليل من النوال

فلا أدرى علام وفيم هذا * وماذا يرتجونَ من المحالِ
أللدُّنيا فليسَ هناك دنيا * ولا يرجى لحادثةِ الليالى

قال . أناوقد كتمتها . قال ولما دخل على صلوات الله عليه المدائن فنظر الى ايوان كسرى أنشد بعض من حضره . قول الاسود بن يعفر

ما اذا أأملُ بعد آلَ محرق * تركوا منازلهمْ و بعد اياد
أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من أطواد
أرضٌ تخيرها لطيب نسيمها * كعب بن مامة وابن أم داود
جرت الرياح على محل ديارهمْ * فكانما كانوا على ميعاد
فاذا النعيم وكلُّ مايلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال على صلوات الله عليه أبلغ من ذلك قول الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) . وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام : وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة . وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هى جمة المصائب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتعك بصاحب . قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها . وقال اذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال الشاعر

أيا دنيا حسرت لنا قناعا * وكان جمال وجهك فى النقاب
ديارٌ ظالما حجبت وعزت * فاصبح أذنها سهل الحجاب
وقد كانتْ لنا الايام ذلتْ * فقد قرنتْ بايام صعاب
كانَّ العيشَ فيها كان ظلاً * يقلبه الزمان الى ذهاب

قال الاصمعى . وجد فى دار سليمان بن داود عليه السلام على قبة مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لشىء يسره * فسوف لعمرى عن قريب يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(وقال أبو العتاهية)

يا من ترفع بالدنيا وزينتها ... ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم ... فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الناس همته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين

(وقال آخر)

هب الدنيا تساق اليك عفوا ... أليس مصير ذاك الى زوال

(وقال محمود الوراق)

هى الدنيا فلا يغررك منها ... مخائل تستفز ذوى العقول
أقل قليلها يكفيك منها ... ولكن لست تقنع بالقليل
تشيد وتبتنى فى كل يوم ... وأنت على التجهز للرحيل
ومن هذا على الايام تبقى ... مضار به بمدرجة السيول

(وقال آخر)

دنيا تداولها العباد ذميمة ... شيبت باكره من تقيع الحنظل
وثبات دنيا ما تزال ملمة ... منها فجائع مثل وقع الجندل

(وقال آخر)

حتى متى أنت فى دنياك مشتغل ... وعامل الله بالرحمن مشغول

(وقال أبو نواس الحسن بن هانئ)

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع لك المال ... فما تدرى لمن تجمع
ولا تدرى أفى أرضك ... أم فى غيرها تصرع

قال الاصمعى سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور فى بعض البرارى اذا أنا بصوت

وان امرأ دنياه أكثر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت إنسى أم جنى فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى. قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى فى صفة الدنيا

حتوفها رصد وعيشها نكد ... وشربها رنق وملكها دول

فقال لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا. قال وسمع المامون بيت أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

فقال. لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبى نواس . وقيل للحسن البصرى ما تقول فى الدنيا . قال ما أقول فى دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل . ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدى بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

﴿ محاسن الزهد ﴾

محمد بن الحسن عن أبى همام وكان قد عرف ضيغما قال . كنت معه فى طريق مكة فلما بعدنا فى الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت . لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال . فنظر الى السماء وقال . ان شاء الله فعل قال فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت . وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لاهله دقيقا فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فاعطاه الباقى فاتى النجارين فملأ مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج هاربا من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوارى لم ترمثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذى جئت به . وعن أبى عبد الله القرشى عن صديق له قال . دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسل الدلو فاخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لو لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فاخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئا قط أطيب منه فاردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتنى فلما كان فى الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم فى ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول فقلت يا هذا أسالك برب هذه البنية من أنت . قال تكتم على حتى أموت . قلت نعم قال لى أنا سفيان الثورى وكانت تلك الشربة تكفينى اذا شربتها الى مثلها الا أجد جوعا ولا عطشا . وقال الاصمعى . رأيت اعرابيا يكدح جبهته بالارض يريد ان يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال انى وجدت الاثر فى وجه الرجل الصالح وقال الشاعر

كيف يبكى لحبس فى طلول من سيقضى ليوم حبس طويل
ان فى البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم ربع محيل

(وقال آخر)

ان الشقى الذى فى النار منزله ... والفوز فوز الذى ينجو من النار
يارب أسرفت فى ذنبى ومعصيتى ... وقد علمت يقينا سوء آثارى
فاغفر ذنوبا الهى قد أحطت بها ... رب العباد وزحزحنى عن النار

(وقال ذو الرمة)

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ... هذا محالٌ فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمنْ يحب مطيع

(وقال أبو نواس)

أيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كلّ تحريكة ... وتسكينة فاعلمن شاهد
وفى كلّ شىء له آية ... تدل على أنه واحد

(وقال أيضا)

سبحان من خلق الخلـ ... ـق من ضعيف مهين
يسوقهم من قرار ... الى قرار مكين
يحوز خلقا فخلقا ... فى الحجب دون العيون
حتى بدت حركات ... مخلوقة من سكون

(وقال آخر)

أخى مابال قلبك ليس ينقى ... كانك ماتظن الموت حقا
ألا يابن الذين مضوا و بادوا ... أما والله ما ذهبوا لتبقى
ومالك غير تقوى الله زادٌ ... اذا جعلت الى اللهوات ترقى

(وقال آخر)

ياقلب مهلا وكن على حذر ... فقد لعمرى أمرت بالحذر
مالك بالترّهات مشتغلا ... أفى يديك الامان من سقر

(وقال آخر)

ان كنت تؤمن بالقيا ... مة واجترأت على الخطيئه
فلقد هلكت وان جحد ... ت فذاك أعظم للبليه

(وقال آخر)

وأفنية الملوك محجباتٌ ... وباب الله مبذول الفناء
فما أرجو سواه لكشف ضرى ... ولا أفزع الى غير الدعاء
ولا أدعو الى الأواء كهفا ... سوى من لا يصم عن الدعاء

(ضده)

قيل . كان جندى بقزوين يصلى فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياما فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه . فقال له المؤذن . أبومن . قال أبو الجحيم . قال بئس ياهذا رد الباب قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك . قال ليلة الدير . قيل له ومالية الدير . قال نزلت بدير نصرانية فاكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت (١) . قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم . قالوا نحن أربعة . فاومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس . قال الشاعر

وانى فى الصلاة أحضرها ... ضحكة أهل الصلاة ان شهدوا
أقعد فى سجدة اذا ركعوا ... وأرفع الرأس ان هم سجدوا
أسجد والقوم راكعون معا ... واسرع الوثب ان هم قعدوا
فلست أدرى اذا هم فرغوا ... كم كان تلك الصلاة والعدد

(وقال آخر)

وأصلى فاغلط الدهر فيما ... بين سبع وأربع وثمان
ومواقيت حينها لست أدرى ... ما أذان موقت من أذان

(وقال آخر)

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد
عدلت مشافره الدنان فانفه ... مثل القدوم يسنه الحداد
فابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

---

(١) ذكر ابن قتيبة فى كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابى الطمحان القينى وقد نسبت هذه الخزية أيضا للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عارا

(وقال آخر)

ان قرأ العاديات فى رجبٍ * لم يعد منها الا الى رجبِ
بل نحن لا نستطيع فى سنة * نختم تبت يدا أبى لهب

﴿محاسن النساء النادبات﴾

قيل . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء فى صخر أخيها

لابد من ميتـــة فى صرفها غيرٌ * والدهر من شانه حـولٌ واضرار
وان صخرا لتأتمُّ الهـــداةَ به * كانه علمٌ فى رأســه نار

وقيل للخنساء صف لنا صخرا فقالت . كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل لمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف اذا حل قيل فايهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسنقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد . وأنشدت

أســدان محمرًّا المخـالب نجـدةً * غيثان فى الزمن الغضوب الاعسر
قمران فى النادى رفيعا محتـد * فى المجـد فرعا سودد متخـير

و روى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم . فقالت . يا أم المؤمنين ان زوجى كان رجلا متلافا منفقا . فقال لى . لو أتيت معاوية فاســتعنتيه فخرجت وقد لقينى صخر فاخبرته فشاطرنى ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته . لو أعطيتها من شرارها ـ تعنى الابل ـ فقال

تالله لا أمنحها شرارهـا * وهى حصان قد كفتنى عارها
وان هلـكت مزقت خمارها * واتخذت من شعر صـدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت ان لا انزعه حتى أموت . قال ثور بن معن السلمى حدثنى أبى قال . دخلت على الخنساء فى الجاهلية وعليها صدار من شعر وهى تجهز ابنتها فكلمتها فى طرح الصـدار فقالت يا حمقاء والله لانا أحسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا . قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء . ما أقرح ما آقى عينيك . قالت . بكائى على السادات من مضر . قال . يا خنساء انهم فى النار قالت . ذلك أطول لعويلى . ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرَّفنى الدهر قرعا وغمزا * وأوجعنى الدهر نهشا ووخزا
وأفنى رجالى فبادوا معـا * فاصبح قلبى لهـم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذا الناس اذ ذاك من عـزَّ بزَّا

وكانوا سراة بنى مالك * وزين العشيرة مجدا وعزا
وهم فى القديم صحاح الاديم والكائنون من الناس حرزا
بسمر الرماح وبيض الصفاح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
حززنا نواصى فرسانكم * وكانوا يظنون أن لا نحزّا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا
نعفّ ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا
ونلبس فى الحرب نسج الحديد * وفى السلم نلبس خزا وقزّا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى . ذكروا انها اقبلت حاجة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها فاتوا عمر بن الخطاب فقالوا . هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها فى الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال . ياخنساء . قال فرفعت رأسها فقالت ماتشاء وما الذى تريد فقال . ما الذى أقرح ماآقى عينيك . قالت . البكاء على سادات مضر . قال . انهم هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم . قالت فداك أبى وأمى فذلك الذى زادنى وجعا . قال فانشدينى ماقلت . قالت . اما انى لا أنشدك ماقلت قبل اليوم ولكنى أنشدك ماقلته الساعة . فقالت

سقى جدثا أعراق غمرة دونه * وبيشة ديمات الربيع ووابله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فانت على من مات قبلك شاغله
وأرعيهم سمعى اذا ذكروا الاسى * وفى الصدر منى زفرة لا تزائله

فقال عمر . دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا . ليلى الاخيلية هجاها رجل من قومها . فقال

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا * فقد ركبت ايرا أغر محجلا

(فاجابته)

تعيرونى داء بامك مثله * وأى جواد لا يقال له هلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها . ياليلى هل بقى فى قلبك من حب توبة فتى الفتيان شىء . قالت . وكيف أنساه وهو الذى يقول يا أمير المؤمنين

ولو أن ليلى فى ذرى متمنع * بنجران لالتفت على قصورها
حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لازال ريشك ناعما (١) * وبيضك فى خضراء غض نضيرها
تقول رجال لا يضيرك نايها * بلى كلّ ما شفّ النفوس يضيرها

(١) رواية أبى على القالى فى أماليه - « ولازلت فى خضراء غض نضيرها »

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر * كواعب فى همدان بيضا نحورها

قال . عمرك الله ان تذكريه . ولثوبة فى ليلى الاخيلية

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علىَّ ودونى جندلٌ وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى * اليها صدمن جانب القبر صائح
ولو أن ليلى فى السماء لاصعدت * بطرفى الى ليلى العيون اللوامح

فلما مات ثوبة مر زوج ليلى بليلى على قبره فقال . لها سلمى على ثوبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة . فقالت ما تريد الى من بليت عظامه . فقال . والله لتفعلن . فقالت وهى على البعير . سلام عليك يا ثوبة فتى الفتيان . وكانت قطاة مستظلة فى ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر ثوبة قال وسال الحجاج ليلى هل كان بينك وبين ثوبة ريبة قط . قالت لا والذى أساله صلاحك الا انه مرة قال لى قولا ظننت انه خنع لبعض الامر . فقلت له

وذى حاجة قلناله لاتبح بها * فليس اليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى فارغٌ وخليل

فما كلمنى بعد ذلك بشىء حتى فرق بينى وبينه الموت قال الحجاج فما كان بعد ذلك قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بنى عباد فقل باعلى صوتك

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الىَّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنه عفا ربى وأحسن حاله * تعزُّ علينا حاجة لا ينالها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فانشدته . قولها فيه

اذا نزل الحجاج أرضا سقيمة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة ثناها
أحجاج لا تعطى العصاة مناهم * ولا الله يعطى للعصاة مناها

فوصلها الحجاج بالف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن . هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند . فقالت

انى رأيت فسادا بعد اصلاح * فى عبد شمس فقلبى غير مرتاح
هاجت لهم أدمع تترى ومنبعها * من رأس محرورة ما ان لها لاحى

لما تنادت بنو فهر على حنق والموت بينهم ساع لارواح
كانما النسج فى قتلى مصرّعة سرح أضاءت على جدر وألواح
يا آل هاشم انا لانصالحكم حتى نرى الخيل تزدى كل كفاح
ان يمكن الله يوما من هزيمتكم يورث نساءكم داء بتقراح

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هند مهلا لقد لاقيت مهبلة يوم الاعنة والارواح فى الراح
أسد غطارفة غر جحاجحة أبناء محصنة بيض لجحجاح
هنالك الفوز والرضوان ان صبروا مع الرسول فما آبوا بتقباح
الله أهلكهم والاوس شاهدة والخزرج الغرّ فيهم كلّ مجتاح
لاتبعدنّ فانى غير صارخة وكيف تصرخ ذات البعل ياصاح

﴿النساء الماجنات﴾

قال سليمان بن عبد الملك انشدونى أحسن ماسمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء فى بعض طرقاته اذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال

لو بتفاحة رميت رجونا ومن الرمى بالحصاة جفاء

(فاجابته)

ماجهلنا الذى ذكرت من الشكل ولا بالذى نراه خفاء

(ودایة معها فقالت)

قد بدأتيه ماذكرت وجدّى ليت شعرى فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمرى دعوتها فاجابت هى داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هى والله أشعرهم

لقد جد الفراق وعيل صبرى عشية عيرهم للبين زمت

(عنان جارية الناطفى) قال السلولى دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابى فقالت يا عم لقد أتى الله بك . قلت وماذاك قالت هذا الاعرابى دخل على فقال بلغنى انك تقوال لشعر فقولى بيتا فقلت لها قولى فقالت قد ارتج علىّ فقل انت فقلت

(فقال الاعرابى)

نظرت الى أواخرها ضحيا وقد بانت وأرض الشام أمت

(فقالت عنان)

كتمت هواكم فى الصدر منى على أن الدموع على نمت

فقال الاعرابى أنت والله أشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبل البساط وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تنا ولها سيدها بضرب شديد وهى تبكى فقلت

انّ عنانا أرسلت دمعها كالدُّرّ اذ ينسلُّ من سمطه

فقالت وأشارت الى مولاها

فليت من يضربها ظالما تجفُّ يمناه على سوطه

فقال مولاها هى حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما أو غير ظالم. قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشى والحسين الخليع وعمرو الوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط فى منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندى . فقالت عنان لله قولوا شعرا وأرضوا بحكمى . فقال الرقاشى

عذراء ذات احمرار انى بها لأحاشى
قوموا نداماى رَوَّوْا مشاشكم من مشاشى
وناطحونى كؤوسا نطاح صلب الكباش
وان نكلت فحلٌّ لكم دمى ورياشى

(فقال أبو نواس)

لا بل الىَّ ثقاتى قوموا بنا بحياتى
قوموا نَلُذُّ جميعا بقول هاك وهات
فان أردتم فتاة أتيتكم بفتاتى
وان أردتم غلاما صادفتمونى مؤاتى
فبادروه بجونا فى وقت كل صلاة

(وقال الحسين الخليع)

أنا الخليع فقوموا الى شراب الخليع
الى شرابٍ لذيذٍ وأكل جدى رضيع

ونيك أحوى رخيم بالخندريس صريع
قوموا تنالوا وشيكا مثال ملك رفيع

(وقال الوراق)

قوموا الى بيت عمرو الى سماع وخمر
وساقيات علينا تطاع فى كل أمر
وبيسرى رخيم يزهو بجيد ونحر
فذاك برٌّ وان شئتم أتينا ببحر
هذا وليس عليكم أولى ولا وقت عصر

(وقال محكم بن رزين)

قوموا الى دار لهو وظلّ بيت دفين
فيه من الورد والمرْ زنجوش والياسمين
وريح مسك زكىّ وجيد الزرجون
قوموا فصيروا جميعا الى الفتى ابن رزين

(فقال الحسين الخياط)

قضت عنان علينا بان نزور حسينا
وأن نقروا لديه بالفصف والله عينا
فما رأينا كظرف الحسين فيما رأينا
قد قرب الله منه زينا وباعد شينا
قوموا وقولوا أجزنا ماقد قضيت علينا

(وقالت عنان)

مهلا فديتك مهلا عنان أحرى وأولى
بان تنالوا لديها أسنى النعيم وأحلى
فان عندى حراما من الشراب وحلاّ
لاتطمعوا فى سوائى من البرية كلا
ياسادتى خبرونى أجاز حكمى أم لا

فقالوا جميعا . قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها . قال وكتبت عنان الى الفضل بن الربيع

كن لى هديت الى الخليفة سلما بوركت يا ابن وزيره من سلم
حث الامام على شراى وقل له ريحانة ذخرت لانفك فاشمم

وكانت عنان تتوقى أبانواس وتخاف مجونه وسفهه . وفيها يقول

عنان يامن تشبه العينا أنتم على الحب تلومونا
حسنك حسنٌ لا يرى مثله قد ترك الناس مجانينا

فتهيأت لابى نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فاحب أن يخجلها فقال لها

ما تامرين لصب يكفيه منك قطيره
فقالت اياى تعنى بهذا عليك فاجلد عميره
فقال انى أخاف وربى على يدى من عميره
فقالت عليك أمك . . . فانها كندبيره

فاخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفى فحملت اليه فقال لها يا عنان . قالت . لبيك ياسيدى . فقال * ماتأمرين لصب *

قالت قد مضى الجواب فى هذا يا أمير المؤمنين . قال بحياتى كيف قلت . قالت قلت

اياى تعنى بهذا عليك فاجلد عميره

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالا جزيلا فردها

﴿عريب جارية المامون﴾

وأنتم أناس فيكم الغدر شيمة لكم أوجه شتى وألسنة عشر
عجبت لقلبى كيف يصبوا اليكم على عظم مايلقى وليس له صبر

﴿فضل الشاعرة﴾ حدثنا القاسم بن عبدالله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فاتته هدايا فضل الشاعرة ألف جدى وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكان من أحسن الناس ضربا بالعود وأملحهم صوتا وأجودهم شعرا فاتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجىء بالشراب فلما شربنا اقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والابيات هذه

يامن أطلت تفرسى فى وجهه وتنفسى
أفديك من متدلل يزهو بقتل الانفس

هبـــنى أسات وما أسا * ت بلى أقول أنا المسى
أحلفتـــنى أن لاأسا * رق نظـــرة فى مجلسى
فنظـرت نظرة عاشـــق * أتبعتهـا بتنـــفسى
ونسيت أنى قـــد حلفت * فما يقال لمن نسى

وضربت أيضا وغنت

عاد الحبيب الى الرضا * فصفحت عما قـــد مضى
من بعـد مالصـــدوده * شمت الحســـود فعرّضا
تعس البغيـض فلم يزل * لصـــدودنا متعـــرضا
هبـــنى أسات وما أسا * ت فان أسات لك الرضا

قال فما أتى على يوم أسر من ذلك اليوم

﴿صاحبة الفرزدق﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لاصحابه هل أخجل اكم هذه . قالوا . نعم . فقال

ان لى . . . خبيثا * لونه يحكى الكميتا
لو يرى فى السقف صدعا * لتحـول عنـــكبوتا
أو يرى فى الارض شقا * لـــزا حـــتى يموتا
فقالت الجارية زوجوا هـــذا بالف * وأرى ذلك قـــوتا
قبـل أن ينقلب الدا * ء فـــلا ياتى و يؤتى

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

﴿صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى﴾ قالت

عزمت على قلبى بان أكـتم الهـوى * فضجّ ونادى انـنى غـــير عاقل
فان حان موتى لم أدعـك بغصـتى * وأقررت قبـل الموت أنك قاتلى

﴿جارية البارقى﴾ ذكروا أنها أنشدت فى مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحســن العـالم حتى مـتى * يرتفـــع الحب وانحـط
وكيـف منجاى و بحر الهوى * مذحفّ بى ليس له شـط

---

(١) فى هامش الاصل . قيل ان هذه الرواية جرت بين أبى نواس وعنان جارية الناطفى والابيات تروى على غـير هـذا

فاجيبت يدركك الوصل فتنجو به * أو يقع البحر فتنحط

﴿ المغنية المليحة ﴾ قال على بن الجهم . كنت فى مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فاقبلت جارية كانها البدر ليلة التمام بلون كانه الدر فى البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لى محمد يا أبا الحسن هذه الجنة التى كنتم توعدون . فقالت

وما الوعد يا سؤلى وغاية منيتى * فان فؤادى من مقالك طائر

فقال لها محمد

أما وإله العرش ما قلت سيئا * وما كان الا أننى لك شاكر

فقال ابن الجهم

أمسك فديتك عن عتاب محمد * فهو المصون لوده المتحاذر

فاقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قاتل وردف مائل . فقلت لقد أقر الله عينا تراك . فقالت . أقر الله أعينكم وزادكم سرورا وغبطة ثم اندفعت تغنى بنغمة لم أسمع أحسن منها

أروح بهم من هواك مبرح * أناجى به قلبا كثير التفكر

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فما زلنا يومنا ذلك معها فى الفردوس الاعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها . محمد بن حماد قال . كنا يوما عند اسحق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبى تكامل فى نهاية حسنه * فزها بهجته وتاه بصده

فالشمس تطلع من فرند جبينه * والبدر يغرق فى شقائق خده

ملك الجمال باسره فكانما * حسن البرية كلها من عنده

يارب هب لى وصله وبقاءه * أبدا فلست بعائش من بعده

فطارت عقولنا وذهلت ألبابنا من حسن غنائها وظرفها . فقلت يا سيدتى من هذا الذى تكامل فى الحسن والبهاء سواك : فقالت

فان بحت نالتنى عيون كثيرة * وأضعف عن كتمانه حين أكتم

﴿ الاعرابيات ﴾

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال. لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فانهى ذلك اليه فوجه قائدا من وجوه قواده اليهم فحاصرها فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهى تقول

أمير المؤمنين سما الينا * سموّ البدر مال به الغريف

فان نسلم فعفو الله نرجو * وان نقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل أحسنت. ما جزاؤها يا فتح. قلت العفو والصلة فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها. مرى الى قومك وقولى لهم لا تردوا المال على التجار فانى أعوضهم عنه الاصمعى قال خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هى أحسن اليها وجها وأعدلهم قامة وأفصحهم لسانا فحار فيها بصرى واعترتنى خجلة. فقالت ما وقوفك. فقلت

هل عندكم من مخيض اليوم نشربه * أم هل سبيل الى تقبيل عينيك

فلست أبغى سوى عينيك منزلة * أم هل نجودى لناعضا بخدّيك

أو تأذنين بريق منك أرشفه * أو لمس بطنك أو تغمير ثديك

رُدى الجواب على من زاده كلفا * تكريره الطرف فى أجدال ساقيك

فرفعت رأسها الى وقالت. يا شيخ ألا تستحى ارجع الى أهلك وارغب فى مثلك. وقال بعضهم رأيت اعرابية بالنباح فقلت لها. أتنشدين. قالت نعم فى مثلك ورب الكعبة. قلت فانشدينى. فانشأت تقول

لا بارك الله فيمن كان يخبرنى * ان المحبّ اذا ماشاء ينصرف

وجد المحب اذا ما بان صاحبه * وجد الصبى بثدى أمه الكلف

قال قلت لها. أنشدنى من قولك فقالت

بنفسى من هواه على التنائى * وطول الدّهر مؤتنف جديد

ومن هو فى الصلاة حديث نفسى * وعدل الرُّوح عندى بل يزيد

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق. فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتنى

ألا بابى والله من ليس نافعى * بشىء ولا قلبى على الوجد شاكره

ومن كبدى تهفوا اذا ذكر اسمه * بشىء ومن قلبى على النأى ذاكره

له خفقان يرفع الجيب بالشجى * ويقطع ازرار الجربان ثائره

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

برز البدر في جوار تهادى * مخطفات الخصور معتجرات
فتنفست ثم قلت لبكر * عجلات في الحياة لي حيبات
هل سبيل الى التي لا أبالي * بعدها أن أموت قبل وفاتي

فاجابته

قد أتانا الرسول بالابيات * في كتاب قد خطّ بالترهات
حائر الطرف ان نظرت وماطر * فك عندي بصادق النظرات
غر غيري فقد عرفت لغيري * عهدك الخائن القليل الثبات

﴿ المتكلمات ﴾

حدث عمر بن يزيد الاسدي قال مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط . قالت . أما علمت أني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم على أما سمعت قول عمك ذي الرمة

عمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

فقلت لها . لقد أثر فيك الدهر . قالت . أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة * ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال و رأيتها وان فيها لمباشرة وان دبيا جة وجهها لطرية كانها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت أنه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة . وحدث رجل من بني أسد قال أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال و رأيتها في نسوة من قومها فقلت أهذه مي فأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر الى بعينين وأنت تنظر الى بعين واحدة وروى الاصمعي عن رجل من أهل الشام قال . قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك . قالت وفد الى بعض الاخوان . قلت فانحرى لنا ناقة فانا أضيافك . قالت يا عماه والذي خلقك ما عندنا شيء قلت فباطل ما قال أبوك . قالت فما قال . قلت قال

كم ناقة قد وجأت منحرها * لمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت يا عماه فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء . قال وأتى زياد الاقطع باب الفرزدق وكان له صديقا فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فامك قالت حبشية فامسك عنها فقالت

ما بال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله . وجاء الفرزدق فاخبر بالخبر فقال أشهد انها ابنتى . وأنشأ يقول

حام اذا ما كنت ذا حميه * بدار مى بنتـــه صـــبيه

صمحمح مثـل أبى مكيه

وحدث سليمان بن عباس السعدى قال . كان كثير يلقى حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل ففعل عاما من الاعوام غير يومهم الذى نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا فى يوم صائف وافى قديدا وقد كلّ بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقى فتى من قريش فقال الفتى لكثير اجلس قال فجلس كثير الى جنبى ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيرا فقالت أنت كثير . قال نعم . قالت أنت ابن أبى جمعة قال نعم . قالت أنت الذى تقول

وكنت اذا ما جئت أجلل مجلسى * وأضمر من مـنى هيبـة لا تجهّما

قال نعم قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشىء فسال الموالى التى فى الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذى تقول

متى تنشرا عـنى العمامـة تبصرا * جميـل المحيا أغفلتـه الدواهـن

أهذا الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذى تقول

يروق العيـون الناظرات كانه * هرفلىٌّ وزن أحمـر التـبر راجح

أهذا الوجه الذى يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنـة الله والملائـكة والناس أجمعين . قال فازداد ضجرا واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفى حتى توارى عنى ثم نظرت الى المرأة فاذا هى قد غابت عنى فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علىّ ان أخبرتينى من هذه المرأة ان أطوى لك ثوبى هذين اذا قضيت حجى ثم أعطيكهما فقالت والله لو أعطيتنى زنتهما ذهبا ما أخبرتك من هى هذا كثير مولاى لم أخبره قال القرشى فرحت وبى أشد مما بكثير . قيل وقدم كثير الكوفة وكان شيعيا من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلونى على منزل قطام قيل له . وما تريد منها قال أريد ان أوبخها فى قتل على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقيل له عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء قال لا والله لا انتهى حتى انظر اليها واكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة برزة قد تخددت وقد حنا الدهر من قناتها

فقالت من الرجل قال كثير بن عبد الرحمن قالت التيمى الخزاعى قال التيمى الخزاعى . ثم قال لها أنت قطام قالت نعم قال أنت صاحبة على بن أبى طالب صلوات الله عليه قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال أليس هو قتل عليا قالت بل مات باجله قال والله انى كنت أحب ان أراك فلما رأيتك نبت عينى عنك وما ومقك قلبى ولا احلولیت فى صدرى قالت أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل لان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فانشأ كثير يقول

رأت رجلا أودى السفار بجسمه فلم يبق الا منطقٌ وجناجن

قالت . لله درك ما عرفت الا بعزة تقصيرا بك قال . والله لقد سار لها شعرى وطار بها ذكرى وقرب من الخلفاء مجلسى وانها لكما قلت فيها

وان خفيت كانت لعينيك قرة وان تبدو مالم يعمك عارها
من الخفرات البيض لم ترشقوة وفى الحسب المحض الرفيع نجارها
فما روضةٌ بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من فيها اذا جئت طارقا وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

قالت . والله ما سمعت شعرا أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية طاب ريحها الا قلت . كما قال امرؤ القيس

ألم ترانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قال فلله در بلادك وخرج وهو يقول

ألحق أبلج لا تزيغ سبيله والحق يعرفه ذوو الالباب

قال . وقال المسيب راوية كثير انطلق كثير مرة فقال لى هل لك فى عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم فقلت نعم قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت أتروى لكثير شيئا قلت نعم قالت أنشدنى فانشدتها من شعره فقالت أين هو قلت هو ذاك الذى ترين على غير الطريق فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لعمرك مارب الرباب كثير بفحل ولا آباؤه بفحول

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فانى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هى أجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هى غاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا ببالة فقالت بنا الطريق فقالت له هل لك ان تأتى الكوفة فاضمن لك على بشر

الصلة والجائزة فابى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما أخذنا الخمسة آلاف قال ما أصنع بعكرمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شجا أظعانُ غاضرة الغوادى * بغير مشورة عوضاً فؤادى
أغاضرَ لو رأيت غداة بنتم * حنوَّ العائدات على وسادى
رثيت لعاشق لم تشكميه * جوانحه تلذّع بالزّناد

ـ الشكيمة ـ العطية ـ والزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار قال الحكم بن صخر الثقفى حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم أر كجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسالت سؤال منكر فقلت. فلانة قالت فداك أبى وأمى رأيتك عاما أول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفى وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها فقلت ما فعلت أختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فنزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

اذا ما قفلنا نحوَ نجد وأهله * فحسبى من الدنيا القفولُ الى نجد

فقلت أما انى لو أدركتها لنزوجنها قالت فداك أبى وأمى فما يمنعك من شريكتها فى حسنها وشقيقتها فى حسنها قلت قول كثير

اذا وصلتنا خلةٌ كى تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبيةُ أوّل

قالت. وكثير بينى و بينك أليس هو الذى يقول

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

قال فتركت جوابها ولم يمنعنى منه الا الحى

﴿ محاسن النساء ﴾

قيل. أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة و بالعشى الى الصفرة. وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها و فى البطن الثانى من حملها. وقيل لاعرابى أتحسن صفة النساء قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها

و وصف اعرابى امرأة. فقال. كان وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها . وذكر اعرابى امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها صفائح نور و رشق السحر عن لحظها باسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها وذكر اعرابى امرأة فقال هى شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لى شفيع اليها غيرها فى اقتضائها ولكنى كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابى امرأة فقال ما أحسن من حبها نعاسا ولا أنظر اليها الا اختلاسها وكل امرىء منها يرى

ما أحب وذكر اعرابى امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الازفر فى كل عضو منها شمس طالعة ومما جاء فى الحسن من الشعر . قال عبد الله بن المعتز أنشدنى أبو سهل اسماعيل بن على لابى الصواعق

ومريضُ طرف ليس يصرف طرفهُ ... نحو المدى الا رماهُ بحتفه
ظبيٌ له نظر ضعيف كلما ... قصد الفوىّ أنى عليه بضعفه
قد قلت لمامرّ يخطرُ مائسا ... والردفُ يجذب خصرهُ من خلفه
يامن يسلم خصرهُ من ردفه ... سلم فؤاد محبه من طرفه

فقلت فى هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه ... لاخبرنّ قصائدى فى وصفه
قمر به قمر السماء متيمٌ ... كالغصن يعجب نصفه من نصفه
انى عجبت لخصره من ضعفه ... ماذا لحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدرى - بأية فتنة ... جرح الفؤاد بلطفه أم ظرفه
أم بالدّلال أم الجمال أم الضيا ... من وجهه أم بالقفا من خلفه

وأنشد أبو الحسين بن فهم لابى نواس

كفاك مامرّ على راسى ... من شادن قطع أنفاسى
أكثرُ ما أبلغ فى وصفه ... تحيرى من قلبه القاسى
أغار أن أنعت منه الذى ... ينعته الناس من الناس
ولم أرى العشاق قبلى رأوا ... بوصف من يهوون من باس
كلُّ أحاديثى نعتٌ له ... منكشف منى لجلاسى

فقلت فى هذا المعنى وهذا الرّوى والوزن

لو عشر مامر على راسى ... مر بصلد حجر قاسى
لانصدعت منه صدوع كما ... صدع قلبى طول وسواسى
ياغصن آسٍ ومحال اذا ... قصرت تشبيهك بالآس
ماذا على طرفك لو أنه ... أعار لحظا منه قرطاسى
ليتك علات بمطل ولم ... تقطع رجائى منك باليأس

وقال آخر

وزائرةٍ يحتثها الشوقُ طارقهْ * أتتنا من الفردوس لاشك آبقه
اذا ماتثنتْ قال للريح قدُّها * كذا حرّكى الاغصانَ ان كنتِ صادقه

وقال آخر

قد أقبلَ البدرُ فى قراطقه * يسلب بالدَّل قلب عاشقه
يسطو اعليهِ بسيفِ مقلته * لا بالذى شدَّ فى مناطقه

وقال آخر

قلْ للملاح الحدق * وللحسانِ الخلق
هل فى فؤادى للقوى * أوجسدى شىء بقى
ان لم ترَوّا عطشى * بخلاً فبلوا رمقى
يامقلةً أجفانها * محشوةٌ بالارق
بقيتِ فى رقّ الهوى * شقيةً فيمن شقى

وقال آخر

يا ملاحَ الدلال والاغتناج * ما أرى القلب من هواكنّ ناجى
أنت زرفنتَ فوق خدّيك صدغا * من عبير على صفائح عاج
أشرقت وجنتاك بالنور حتى * أغنتا الخلقَ عن ضياء السراج
فعلت مقلتاك بالقلب منى * فعلة القرمطىّ بالحجاج
يا هلالا أنستُ منه بضوء * جنح ليل من الظلام الداجى

وقال آخر

نشرت غدائر فرعها لتظلنى * حذر العيون من العيون الرُّمق
فكانها وكأنه وكأننى * صبحان باتا تحت ليل مطبق

وقال آخر

يا غزالا وهلالا * وقضيبا وكثيبا
كم وكم أضمرُ وجدا * بك مكتوما عجيبا
كيف يرجى برءمن قد * كتم الداء الطبيبا

وقال آخر

شمس ممثلة في خلق جارية كأنما بطنها طيّ الطوامير
فالجسم من جوهر والشعر من سبج والثغر من لؤلؤ والوجه من عاج

(وقال آخر)

نتيج دلال حار في حسنه الطرف ففكرته قبر ومنطقه لطف
بديع جمال زانه العقل والظرف سماوي لون لا يحيط به وصف
له ريقة علت بماء قرنفل يمازجها التفاح والخمرة الصرف
تجسم في جسم من النور ساطع تمكن في دعص ينوء به ردف
على صحن خديه بهار منور ووردٌ جنى لا يليق به القطف
تكامل فيه الحسن والنور والبها كبدر الدجى اذ تم من شهره النصف
يراه الهى لى عذابا وفتنة فما عنده عدل ولا عنده عطف

(وقال آخر)

لك من قلبي المكان المصون كلّ لوم على فيك يهون
قد رأيت ان أكون شفيا بك والصبر عنك ما لا يكون
يا غزالا بلحظه يفتن النا س وفي طرفه الردى والمنون
لك صبرٌ وليس لى عنك صبرٌ فانا اليوم هائم محزون
قد خلعت العذار فيك حبيبي ما ابالي بما رمتني الظنون

(وقال آخر)

يا نظرة جاءت على ياس من ساحر المقلة مياس
أطرافه تعقد من لينها وقلبه كالحجر القاسي
يلومني الناس على حبه أعانني الله على الناس

(وقال آخر)

يا ويح جسم يذوب من قلقه من حب من لم أقف على خلقه
من حب ظبي مهفهف لبق يهتز مثل القضيب في ورقه
لم ترعيني ولن ترى أبدا أحسن من نحره ومن عنقه
كأنما المسك حين تسحقه بماء ورد يفوح من عرقه
أو خمرة في الزجاج صافية شيبت بماء السحاب في نسقه

(وقال آخر)

أربعة قرحت فؤادى فطال وجدى وعيل صبرى
مقلة خشف وقدّ غصن وطيب ورد وحسن بدر
نفسى ومالى فداء ظبى أذاب جسمى وليس يدرى
فمن لصب أسير شوق قتيل صد بسيف هجر

(وقال آخر)

ومارج ريحان بمسك وعنبر بعلّ بكافور ودهنة بان
باطيب من زرياحبيبى لوانى وجدت حبيبى خاليا بمكان

(محاسن التزويج)

روى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يارسول الله انى أريد أن أتزوج فادع الله ان يرزقنى زوجة صالحة . فقال لودعالك جبريل وميكائيل وأنا معهما ماتزوجت الا المرأة التى كتب الله لك فانه ينادى فى السماء ألا ان امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق ارحاما . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالابكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر قال الشاعر

لاتنكحن عجوزاً ان دعيت لها وان حبيت على تزويجها الذهبا
فان أتوك وقالوا انها نصف فان أطيب نصفيها الذي ذهبا

(وقال أيضا)

عليك اذا ما كنت لابدناكحا ذوات الثنايا الغرّ والاعين النجل
وكلّ هضيم الكشح خفاقة الحشا فطوف الخطا بلهاء وافرة العقل

وقال الحارث بن كلدة لاتنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج . وقال مغيرة بن شعبة حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنى أحفظها لمنصبها وولدها فكنت أسترضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية . وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه قال انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال . تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى

صداقها وقال الحجاج بن يوسف من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها . وروى عن على صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال انى تزوجت امرأة مجنونة فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه يأخذنى عند الجماع غشية . فقال للرجل قم ما أنت لها باهل . وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . اياكم وخضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقال بعضهم لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا ـ فاما الحنانة ـ فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهى تحن اليه ـ والانانة ـ التى تأن من غير علة ـ والمنانة ـ التى لها مال تمن به ـ وعشبة الدار ـ الحسناء فى أصل السوء ـ وكية القفا ـ التى اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا . وقال محمد بن على رضى الله عنهما اللهم ارزقنى امرأة تسرنى اذا نظرت وتطيعنى اذا أمرت وتحفظنى اذا غبت . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . اذا خطب أحدكم امرأة ـ فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم . وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

اذا أردت حرة تبغيها ... كريمة فانظر الى أخيها
ينبيك عنها والى أبيها ... فان أشباه أبيها فيها

(وقال آخر)

اذا كنت مرتادا لنفسك أيما ... لنجلك فانظر من أبوها وخالها
فانهما منها كما هى منهما ... كما النعل ان قيست بنعل مثالها

(وقال آخر)

اذا كنت عن عين الصبية باحثا ... فابصر ترى عين الصبى فذا لكا

قال خالد بن صفوان لدلال . أطلب لى امرأة بكرا أو ثيبا كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة لها عقل وافر وخلق ظاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الاطراف ثقيلة الارداف لونها كالرق ونديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تتثنى تثنى الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن البراق لا الطول ازرى بها ولا القصر قال الدلال . استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها . وقال أيضا . لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض اذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما

بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثة فتقع بين اثنا فى ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك فقال له رجل . حرمت ما أحل الله . فقال . طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن . وعن صالح ابن حسان قال . رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهى التى علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغربلة والرهز وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن فى المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أو ثدى احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى سقيفتها الا وأوصل اليها فى السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر فقالوا لها ياخالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا ننتفع الا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد الله ومن خطبت قال عائشة بنت طلحة قالت فانت يا ابن الصديق قال ام القاسم بنت زكرياء ابن طلحة قالت فانت يا ابن أبى أحيحة قال زينب بنت عمرو بن عثمان فقالت ياجارية على بمنقلى - تعنى خفيها - فاتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فاتت عائشة بنت طلحة فقالت مرحبا بك ياخالة فقالت يا بنية انا كنا فى مادبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال الا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك فتجردى لانظرك فالقت درعها ثم مشت فارتج كل شىء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت فداك أبى وأمى خذى ثوبيك وأتتهن جميعا على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت يا ابن أبى عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط ممتلئة الترائب زجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا أنى رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداهما فيواريها الخف وهى عظم القدم والاخرى يواريها الخمار وهى عظم الاذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمر وفراهة قط الا ان فى الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بامر تستأنس اليه وهى ملاحة تعتز بها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل ام القاسم ما شبهتها الا بخوط بانة تتثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها الا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوجهن وقال اعرابى فى أخت له تزوجت بغير كفؤ

ولو ركبت ما حرم الله لم يكن ... باقبح عند الله مما استحلت

قال . وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأى ولم يكن فيها من يريد ابرام امر الا شاوره فاراد رجل من قريش أن يتزوج فاتاه فقال انا نريد أن أضم الى اهلا فاشر على قال افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك واياك والجمال البارع قال ولم نهيتنى وانما هو نهاية ما يطلب الناس قال لانه ما فاق الجمال الا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تصادف مرعى مونقا أبدا * الا وجدت به آثار مأكول

قيل وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش الا فى التزويج قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع . فقالت احداهن زوجى عونى فى الشدائد وهو عائدى دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف . قالت نعم الشىء هذا . قالت الاخرى زوجى لما عنائى كاف ولما أسقمنى شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد . قالت هذا خير منه . قالت الاخرى زوجى الشعار حين أبرد وأنيسى حين أفرد . فتزوجت فقلن لها . يا فلانة كيف رأيت . قالت . أنعم النعيم وسرورا لا يوصف ولذة ليس منها خلف

﴿أمثال فى التزويج﴾

قيل أن أول من قال * لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت * الضب بن أروى الكلاعى وذاك انه خرج من أرضه فلما سار أياما حار فى تلك المفاوز التى تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقى فردا يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدرى من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من أفاضل أولئك هويته فارسلت اليه أن أخطبنى فخطبها وكانوا لا يزوجون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم فى خيل فاستأصلهم فتطير وا بضب وأخرجوه وامرأته وهى طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهى الى الماء ونستقى فاغتسلت بما فى السقاء ولم يقع منها موقعا وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب . لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت . فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة . فانشا ضب يقول

تالله ما ظلة أصاب بها * سواد قلبى قارع العطب
ظل كئيب الفؤاد مضطربا * وتكتسى من غدائر قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفا * أو يخبر الناس منطق الخطب
أخرجنى قومها بان رحا * دارت بشؤم لهم على قطب

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومى فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعرى ثم ان بدا لكم أن تقتلونى بعد

فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزا . وقيل ان أول من قال * فى الصيف ضيعت اللبن *

قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت فى أن يراجعها فابى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الاول مراجعتها وهوى بها هوى شديدا فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها فغطنت به فقالت

أدركتنى حتى اذا * علقت أبيض كالشطن

أنشأت تطلب وصلنا * فى الصيف ضيعت اللبن

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الاول واسمه الاشق فهل بقى شىء قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقى فان فصلته تزوجتك فرضى بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجى كلامى وكلامك ثم اقعد كانك لا تشعر به وقل

لحا الله بنت العبد ان وصالها * وصال ملول لا تدوم على بعل

تحدثنى أن سوف تقتل عامرا * لان لم يكن فى ماله عامر مثلى

فهيهات تزويج التى تقتل الفتى * اذا ما أبت يوما وان كان من أجلى

فتقتلنى يوما اذا هويت فتى * سواى وان اليوم من وصلها بحلى

فانطلق الاشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع فى قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق . وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماما وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت فى قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحى فقال يا ابنة الكرام هل لك فى يد تتخذين بها عندى شكرا قالت ما أحوجنى الى ذلك . قال تنطلقين الى خيمة فلانة كانك تقتبسين نارا فاذا أنت جلست فقولى حيث تسمع زينب

ألا هل لنا قبل التفرق ليلة * ويوم فتقضى كل نفس مناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلى رأس زوجها وكان عنده أخ له . فقالت مجيبة لها

لعمرى لقد طال المقامة ها هنا * لوان لحب حاجة لقضاها

فسمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

ألا يعلم الزوج المفلى بانها * رسالة مشغوف الفؤاد رجاها

فانتبه الزوج لامرهم وعرف ما أرادت فقال

لحى الله من لا يستقيم بوده * ومن يمنح النفس الطروب هواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده و بعثت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

﴿ في الناشزة ﴾

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجبا فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالتغلبي معجبة فبينا هي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وأنشا يقول

كلانا على وجد بيت كانما * بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وزوجها * على الطلة الاولى كذاك ينوح

قيل. وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه . فقال الزوج . أصلح الله الامير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها و بذأ لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله . قال صدقت وحكم له بها . وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال . ما بال هذه المرأة تشكوك . قال اصلح الله الامير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري . قالت من طعامك أفتمن علي بطعام أطعمتنيه والكلاب تاكل . قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري . قالت من مالك أفتمن علي بثوب كسوتنيه قال وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري . قالت منك ووددت انه في بطني من كلب . قال الرجل اصلح الله الامير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسى وتنكح . قال صدقت فخذ بيدها . قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من اجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعا فانشا يقول

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند * اذا بقيت عندي الجمانة والورد

شديد مناط القصريين اذا جرى * و بيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لايام الهياج وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقره مني السلام وقل له * عنينا بفتيان غطارفة مرد

فهذا امير المؤمنين اميرهم * سباانا واغنا كم اراذلة الجند

اذاشاء منهم ناشيء مد كفه * الى كدملساء اوكفل نهد

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فاعطاه اياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له فى الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد * نقاخ فتلكم عند ذلك قرّت

ومنهن من تسقى باخضر آجن * أجاج فلولا خشية الله فرت

فامر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم او خمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلى سبيلها / وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه الفرج الرخجى وكان الفضل صبيحا ظريفا والفرج دميما قبيحا فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعدا يتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهيئة حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تاكل معهما قال الفضل فاعجبنى ما رأيت من جمالها وهيئتها . فقلت هل لك من بعل قالت لا قلت فهل لك فى بعل من أصحاب امير المؤمنين حسن الخلق والخلق قالت واين هو . فاشار الى فرج فقالت . جوابك عندفراغنا فلما اكلت قالت للفضل تقرأ شيئا من كتاب الله قال نعم قالت افتؤمن به قال نعم قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فاخبره فامر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه اعرابية جميلة قال فقال لها . هل لك ان تزوجينى نفسك . فقالت من غير توقف

بكى الحسب الزاكى بعين غزيرة * من الحسب المنقوص أن يجمعا معا

وانصرفت . قال العتبى كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فاعجبتنى فارسلت اليها الك زوج قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسى وعرفتها موضعى فقالت . حسبك قد عرفناك . فقلت لها زوجينى نفسك فقالت نعم ولكن ها هنا شيء تحتمله قلت وما هو قالت بياض فى مفرق رأسى . قال فانصرفت فصاحت بى ارجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر اسود فقالت . انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا . وانشدت

ارى شيب الرجال من الغوانى * بموضع شيبهن من الرجال

وعن عطاء بن مصعب قال . جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت . يا امير المؤمنين لا اما ولا زوجى فقال لها . ومالك من زوجك قالت . مر باحضاره فاحضر فاذا

رجل قدر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فامر عمر أن يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن فقال لها عمر اتقى الله وأطيعى زوجك . قالت افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن . ويقال أن المرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحدا فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحدا شهدت جوارحه

﴿ نساء الخلفاء ﴾

على بن محمد بن سليمان قال . أبى يقول كان المنصور شرط لام موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم فى التزويج وابتياع السرارى فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فاتته وفاتها وهو بحلوان فاهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهى وقف عليهن الى هذا الوقت .

حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضى مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفى أنى رأيت رؤيا . قال وما هى قالت رأيت كان القمر خرج من قبلى وكان الشمس خرجت من دبرى . قال لها لست من جوارى مثلى أنت تلدين خليفتين فقدمها مكة فباعها فى الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بحرش قال فلك أحد قالت ما لى أحد الا الله وما ولدت أمى غيرى . قال يا غلام اذهب بها الى المهدى وقل له تصلح للولد فاتى بها المهدى فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهارون قالت ان لى أهل بيت بحرش . قال ومن لك . قالت لى أختان اسمهما أسماء وسلسل ولى أم واخوان فكتب فاتى بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكرا فقال المهدى للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب ان تبقين أمة وأحب أن أعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فاتزوجك قالت الصواب رأيت فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدى أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت ما خبر اسماء وكم وهبت لها قال من أسماء قالت امرأتك قال ان كانت أسماء امرأتى فهى طالق فقالت له طلقتها حين علمت بقدومى قال أما اذ علمت فقد مهرتها ألف

ألف درهم و وهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران قال كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابنا فلما ولى المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك . قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فاخرجها اليه مطمومة الشعر فقال ياخلال أليس قد ولدت منك ابنا قال بلى قال فانا أحب أن تعتقها قال فانها حرة قال فاشهد انى قد تزوجتها قومى يانخلة فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر الف دينار وحول اليه نخلة قيل و وصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقى ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها و بين قبيحة فى المنزلة وكانت جارية لها لياقة وملاحة و وصفت له ربطة بنت العباس بن على فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فابت عليه فاعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها و وصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجى فوجه فى جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل الى عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيمة بامره فابى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قنى شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال وكان الهادى يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزى وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كانه جمل هائج منتفخ الاوداج منتقع اللون فاقبل حتى جلس فى مجلسه وكان العزيزى أجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا و بغض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمنا . بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه قال فاطرق طويلا والعزيزى قائم فقال له اجلس ياعزيزى فانى لم أر كصاحب الدنيا قط. أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أبغض عيشا قال العزيزى وماذاك يا أمير المؤمنين قال لبانة بنت جعفر بن أبى جعفر قد علمتم موقعها منى و إثرتها عندى كلمتنى بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندى احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعا قال وسكت فقال ابن دأب يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكرا ولا بديعا قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم و يضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته أسماء بنت أبى بكر وهى أفضل نساء أهل زمانها فضربها فى شىء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هى طالق ان حلت بينى و بينها ففعل و بانت منه وهذا كعب ابن مالك الانصارى عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه و بينها

فقال فلولا بنوها حولها لخبطتها * كخبطة فروج ولم أتلعثم

قال فسرى عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فاكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتلهفت وتعجبت من انقطاعى عن الحديثين وهما فى بالى وأنا أعلم بهما منه

﴿ المطلقات ﴾

قيل . كانت أم الحجاج بن يوسف النفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة ابن شعبة فرآها يوما تتخلل بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقد أنتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ماهو الا من السواك فخلف عليها بعده يوسف أبو الحجاج فاولدها الحجاج . وفيها أشعار منها

أهاجتكَ الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزّى الجميل من الاناث
ظعائنُ أسلكتْ نقت المنقى * نحثُّ اذا ونت أىّ احتثاث
كانَّ على الحدائج يوم بانوا * نعاجا ترتعى بقلَ البرات
تؤملُ أن تلاقى أهل بصرى * فيالك من لقاء مستراث
تهيجنا الحمام اذا تداعى * كما سجع النوائحُ بالمراثى

وفى زينب أخت الحجاج يقول النمرى

ولم ترعينى مثلَ سرب رأيتهُ * خرجنَ من التنعيم معتمرات
ولما رأت ركب النمرى أعرضت * وكنّ من زان يلقينه حذرات
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوةٍ عطرات
مررْن بفخّ ثم رُحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
دعت نسوة شمَّ العرانين بدنا * نواعمَ لا شعثا ولا غبرات
فادنينَ لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسىّ والحبرات
أجلَّ الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتجرات
يخبين أطرافَ البنان من النقى * ويخرجن بالاسحار معتمرات

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال خرج الحارث بن سليل الاسدى زائرا لعلقمة بن حفصة الطائى فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فاعجب بها فقال لابيها أتيتك زائرا وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب فقال أنت امرىء كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر فى امرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصبا وحسبا وبيتا فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته

فاريدى ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يا بنية أى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح قالت الرموز الطماح قالت يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن قالت يا اماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابى و يشمت بى أترابى و يبلى شبابى قال فلم تزل بها امها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل والف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبينا هو جالس ذات يوم وهى الى جانبه اذ أقبل فتية من بنى اسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء و بكت فقال ماشأنك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال: ثكلتك امك تجوع الحرة ولا تاكل بثديها فذهبت مثلا اما وابيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها الحقى باهلك فانت طالق. وقال

تهزأتْ ان رأتنى لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فان يكن قد علا راسى وغيرهُ * صرفُ الزمان وتغييرٌ من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد اصيدُ بها عينا من البقر
عنى اليكِ فانى لا توافقنى * عورالكلام ولا شربٌ على الكدر

قال وقال الحجاج لابن القرية. ماتقول فى التزويج. قال. وجدت اسعد الناس فى الدنيا واقرهم عينا واطيبهم عيشا وابقاهم سرورا وارخاهم بالا واشبههم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة امينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها امينة وان قترعليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبدا ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاطرا قد سترحلمها جهلها و زين دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التى لم تثقب والمسكة التى لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة ان ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الارض جرا فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطعها مهزول. قال. يا ابن القرية قم الآن فاخطب لى هندا بنت اسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فاتاهم فقال. جئت من عند من تعلمون والامير يعطيكم ماتسالون افتنكحون ام تدعون. قالوا. انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال. اصلح الله الامير صلاح من رضى عمله ومد فى الخيرات اجله و بلغ به امله جمع الله شملك وادام طولك وأقر عينك و وفاك حينك واعلى كعبك وذال صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة واسعد السعود وايمن الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهى تقول

وماهندُ الامهرةٌ عربيةٌ سليلة أفراس تجللها بغلُ
فان نتجت مهراً كريماً فبالحرى وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن الفرية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال . أدخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن الفرية المال ودخل عليها فقال ان الامير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك فقالت يا ابن الفرية ماسررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذبان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حبا شديدا فامره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلقُ
لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ وخلقٌ سوىٌّ مايعابُ ومنطقُ
أعاتك قلبي كلَّ يوم وليلة اليك بما تخفي القلوب معلقُ
أعاتك ما أنساك ماذرَّ شارقٌ ومالاح نجمٌ في السماء محلقُ

فسمع أبو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها . وعن علي بن دعبل قال . حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطيانا من أمصار دجلة متنزهين فاكلنا وشربنا فقال الاعرابي . قل بيت شعر فقلت

نالنا لذيذ العيش في بطيانا
فقال الاعرابي لما حثثنا أقدحا ثلاثا
فقال النبطي وامرأتي طالق ثلاثا

ومازال يبكي حتى الصباح فقلت له . مايبكيك . فقال ذهبت امرأتي بقافية . قال اسحق بن ابراهيم الموصلي كنت أنا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها . فقال أحدهم . امرأته طالق ان كان رأى مثلها . وقال آخر امرأته طالق ان لم . وسكت فقال المعتصم . ان لم . قال لاشيء فضحك وقال له ويحك مادعاك الى طلاق أهلك بلاسبب . فقال يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلاسبب ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلتْ أميةُ بالطلاق . ونجوت من رق الوثاق
بانت فلم يجزع لها قلبي ولم تدمع ماقي
لو لم أرح بفراقها لارحت نفسي بالاباق

وخصيت نفسى لا أريـــد حليـلة حتى التـلاقى

(وقال آخر)

رأيت أثاثها فطمـعت فيها وقد نصبت لغيرك بالأثاث
فطلقها وعـدّ النفس عنهـا سريعا ان نفسك فى التواث
والا فالسـلام عليـك انى سآخذ من غدلك فى المراثى

﴿ محاسن وفاء النساء ﴾

قال الكسروى كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائبا فتجشم وسار اليه فى خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهـلاك ويفوزوا بانفسهم فـبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاشا حصانة درعه وضرب بلاش الهندى على عاتقه فقطع حبـله حتى انتهى السيف الى سندوعته فخر ميتا وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فاحـدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه فقالت للرسول وهى تبكى. قل للملك المزين بالحلم المحبب فى رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتنى وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت ان تطيب نفسا عن النظر الى حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل. فانصرف الرسول الى بـلاش فاخـبره فاجابها الى ماسألت وسار وحملها حتى قـدم دار المملـكة فنزلها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاءة والجوائز والاثاث مالم يأمر لغيرها من نسائه واستاذنها فى الدخول عليها فاذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام وليا اليها عجبا منه بها لا يحير اليها جوابا ولا يخف عن صـدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع فى قلبه ما اظهرت من خفة مجلسه عليها ولبث أشهرا لا يدخل عليها فقالت يوم لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه فى طلبى حتى اذا ظفر بى سلا عنى انطلقى حتى تسألى عن عـدة نسائه وأيهن أكرم عليه وأتينى بعـلم ذلك. فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت انى وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليـه من ابنة سائس من سواسه أعجبته فتزوج بها فقالت انطلقى اليها واقرئيها منى السـلام واعلميها انى أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضـنة الى ابنة السائس فابلغتها رسالة مولاتها فقالت لها اقرئيها منى السلام واعلميها انى قد أحببتها وأجبتها الى ماسألت فتصير الى فانصرفت فاخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها فى مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها

بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس بها فلما أنست بها قالت لها . انت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الامر الذى فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك . قالت انى لما عرفت ضعف نسبى وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شىء احظى به عنده مثل المؤاناة فى الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذته مع خمول نسبى وقلة جمالى ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذى يليق بهن ففضلنى على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال الا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة فى الباه عند المشغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها قالت ولبعض جواريها اذهبى الى فلانة - تعنى ابنة السائس - فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فاخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباها فقال لابنة السائس . ما ترين فى اتيانها . فقالت أيها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندى مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهى فى موضع رحمة فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشى باحسن هيئتها متكسرة فى حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته فى صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم يرد فى الخلوة شيأ الا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال . أين ما ذكر رسولك من شدة وجعك . قالت يا سيدى كنت متوجعة الفراقك حتى شفانى لقاؤك وقلت ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فبينما هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيث الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية ان سيدتى - تعنى ابنة السائس - تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الاولى الغدر بمعاملتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ . فحمتها وهملت عيناها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به . فقال لها الملك يا حبيبتى ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك . فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لى وقولى لها أرجعك فحش نفسك الى لؤم حسبك واهمال ادبك ائتينى الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه . فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك فى رسالتك . قالت يا سيدتى أتأذنين لى فى الكلام قالت تكلمى قالت أيتها السيدة

لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا أعطف على من فضلك ولم يظلم من رفع فوق من هو أفضل منى وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه . فقالت صدقت فدعى عنك كلام الادب فقد ملكتك على رغم أنفك وأنا مزوجتك من فلان خادمى فليس لك فضل عليه قالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه باسفلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء وانما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذى أستبقى منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد فى المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هى شبيهة بموتورة قد قتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها عن قلبك فانها متى احتالت فى قتلك لم يكن فى أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمز الثعلب وعظيم الطير فقال الملك وما كان من حديثهما قالت يقال ان ثعلبا جاع فى ليلة فرقى شجرة ليأكل منها فسال الوادى الذى فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الاغصان وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فاقعى الى شجرة قصيا مقشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال أنا دابة سال بى السيل فالقانى فى جبلكم وقد اصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير اكنانا فى الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد ادركت عندنا بغيتك فاقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فاقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بخاليبه قبورا فى الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم أدخل يده فى جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيرا أو فراخه فاكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحدا بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندرى ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التى لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالامور منا قال وعلى ان اقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسى فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التى اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتنى الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب انت هو قال نعم قال ما ظننت

ان يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعنى أردك فى منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أبوى أدبانى ان لا اعلق أنيابى بشىء واركه اذ ليس من جهلك ان لا تتجز أمن الثمار ومن الاكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل التغرير فى ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن فى عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية . قالت الهندية انما تقر عين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقى بعلها أفتحب ان تهلكه على ان مثلك فى رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة . قال الملك وما كان من حديثهما قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخ البعض الملوك فاخذ من أطيب اللحمان التى قد صارت فيه شيئا فظنوا ان الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجو من هذا الغراب وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى ترينى هذا المطبخ فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة انى أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لى بمنقارك قدر ما ادخل فان منقارى يضعف عن ذلك فحفر الغراب فى سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت فى البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعا تأوى اليه فلبثت فى ذلك البيت قرير عين فناداها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حل بى غدرك وان القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلى ومثلك يا ابنة السائس انى لو وفيت لك اردانى غدرك وقتلنى مكرك . قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذى سمعت منى كان لشدة الانفة فاردت ان أنفى عن نفسى الذى أردت من انكاحى خادمك فلانا . قالت الهندية لا بد من ذلك . فقالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه باسافلها الا ان استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته فى فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فافلحا . ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما اخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن مما سالت بد فاقض لى ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت أحدها

ان ترد على ضياعى وأموالى والثانية ان تصعد منبرك بمحضر من رعيتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتتبرأ مما قذفتنى به والثالثة ان أباك أودعنى وديعة فتأمر ان يفتح لى باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته فى فيها وعانقت قبر زوجها فماتت

﴿ ضده ﴾

قيل كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام فخالف على كسرى وجمع جمعا كثيرا وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردى أخى بهرام جوروية قال ان كرديا كان غلاما له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد نرى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتنى عليه رجوت الظفر. قال كردى وماذاك أيها الملك أخبرنى فما شىء يزيدك الله به عزا ويزيد أعدائك به ذلا الا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك. قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوى اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هى أراحتنى من بسطام واحتالت لى فى قتله ان أتزوجها وأجعلها سيدة نسائى وابلغ فى اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته. قال كردى يا أيها الملك ما أشك فى قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لا وجهه فى الكتاب اليها مع امرأتى ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب لكردية بنت بهرام جسناسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندى عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتينى منه أتزوج بك وأجعلك سيدة نسائى وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت أرجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم أجيبى الملك الى ما سألك واغنمى بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردى الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ففرح بذلك فرحا شديدا فلما أصبح أصحاب بسطام و رأوه قتيلا ولواهار بين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كرديا أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاها خاتما فصه من الكبريت الاحمر يضئ فى الليلة الظلماء كما يضئ السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كرديا وولاه أرض فارس و بلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم أن كردية قالت لكسرى ياسيدى اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فاسرجت و ركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصولج وتناولت السيف و ركضت فى الميدان ولعبت بالسيف لعبا معجبا ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك مايؤمنك من هذه الشيطانة. قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حبا لنا من أن نخافها على أنفسنا. فلما نزلت قال كسرى . لنا فى كل ربع من أرباع مملكتنا قائد فى اثنى عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن. قالت ياسيدى ماللنساء والفروسية وانما علينا ان نتزين لك ونتطيب ونسرك بانفسنا واردت بما كان منى سرورك وتسلية همومك فامر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها و بقى عندها أسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فاتاه صياد بسمكة عظيمة فاعجب بها وأمر له بار بعة آلاف درهم. فقالت له شيرين. أمرت لصياد بار بعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمرلى بمثل ما أمر للصياد فقال كيف أصنع وقد أمرت له. قالت اذا أتاك فقل له أخبرنى عن السمكة أذكرهى أم انثى فان قال انثى فقل لا تقع عينى عليك حتى تاتينى بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له أخبرنى عن السمكة أذكرهى ام انثى. قال بل. انثى. قال. فاتنى بذكرها. فقال عمر الله الملك انها كانت بكرا لم تتزوج بعد. قال الملك. زه زه وأمر له بار بعة آلاف درهم وأمر ان يكتب فى ديوان الحكمة. ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال. عشت ايها الملك بسعادة الجدو رزقت على اعدائك الظفر واعطيت الخير وجنبت طاعة النساء. فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى. ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن فى السن ولست مستغنيا عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتى وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت ان تساله قبولها فافعل. فكلم كسرى الموبذان فى ذلك. فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

فقال . قد قبلتها أيها الملك لايثارها اياى بافضل جواريها . فقالت شيرين لمسكدانة . انى أريد ان تاتى هذا الشيخ فتبدى له محاسنك وتجيدى خدمته فاذا هش لمضاجعتك فامتنعى عليه حتى تو كفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذى يتهيا لك ذلك حتى لا يعود أن يزيد فى تحية الملك — ووقيت طاعة النساء — فقالت مسكدانة . افعل ياسيدتى . ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده فى داره التى يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهى مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدى له ساقيها وفخذيها فارتاح المو بذان وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد فى ذلك حرصا فلما ألح عليها . قالت له أيها القاضى ما أنا بمجيبتك الى ماسالت حتى أوكفك وأركبك فان أجبتنى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد ويدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها أياما وبقيت تتزين بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها . افعلى ما أحببت . فهيات له برذعة صغيرة وإكافا صغيرا وحزاما وثفرا واقامته عريانا على أربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهى قائمة وركبته وهى تقول خرخر وأرسلت الى سيدتها شيرين لتعلمها بذلك فقالت شيرين للملك . اصعد بنا الى ظهر بيت المو بذان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هى قد ركبته فوق الاكاف فناداه كسرى ويحك أى شىء هذا فرفع المو بذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال هو ما كنت أقول لك فى اجتناب طاعة النساء فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا . حديث الزباء . ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الصنور وكان جذيمة الابرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فاظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها . فاستشار نصحاءه فقالوا أيها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدى وسار فى ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل فى ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا فى المصير اليها والانصراف فزينوا له الالمام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له أيها الملك لا تقتل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شان النساء الغدر فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير — بقة حرم الامر — ثم ارسلها مثلا . فلما بلغ المرأة قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلت الملك فقال قصير أيها الملك انى رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرسا لجذيمة لا يشق غبارها — فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فانزلوا واخذت منهم

اسلحتهم ودوابهم واذنت لجذيمة فدخل عليها وهى فى قصرها الا الجوارى فاومات اليهن بان يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى أثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ماترى قال أرى بظرانا تئا ونبتا فاشيا ولا أعلم ماوراء ذلك . قالت اما انه ليس من عدم المواسى ولا لقلة الاواسى ولكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب فى النطع فقالت لايحزنك ماترى فانه دم هراقه أهله فارسلتها مثلا . واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كانها الريح وكان المكان الذى فصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال . لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات . ثم أمرت باصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم من الحيرة فيأتى طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم فى ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال . ياخير ماجاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له . ماوراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثارك . قال وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو . فذهبت مثلا ثم ان قصيرا أمر بانف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستاذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعا فاذنت له فدخل عليها قالت . من صنع بك هذا . قال أيتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى انهمنى وتجنى على الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بى ماترين ولم آمنه ان يقتلنى فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لاكون معك وفى خدمتك ولى جداء وعندى غناء . قالت . نعم أقم فعندى لك ماتحب وولته نفقتها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فاقام عندها حولا ثم قال لها . أيتها الملكة ان لى بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لى فى الخروج لحمله فافعلى فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته ان يشترى لها ثيابا من الخز والوشى ولآلئ وياقوتا ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى أتى عمرا فاخبره فاخذ منه ضعفى مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ماجاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ فى كل مرة مثل أضعاف مالها فيشترى جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته فى الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى أثاثا ومتاعا وفرشا وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ماعلىّ وبقى ماعليك . فقال وما الذى تريد . قال أخرج معى فى الفى فارس من خدمك وكونوا فى أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفى فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه فى الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها

وقال. أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به. فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا

فاجابها قصير سرا وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال. لما علمها من المتاع الثقيل النفيس فامرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت. اذا كان غدا نظرنا الى ما أتيتنا به. فلما جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمر وفبادر عمر والى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد. فقال عمرو بيده ويدى سواء وفى كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولو أونى وسيفى يوم ادخله فى جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى. ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت. قال ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت بعيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انما أريد ماله لك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمـ ـر مغلغلة عوفا وعمرا فما قولى بمردود
بأنّ بيتى أمسى فوق داهية سوداء قد وعدتنى شرّ موعود
تعطى عرابة بالكفين مختضبا من الخلوق وتعطينى على العود
أمشى عرابة ذا مال وذا ولد من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام بن عتبة قارا دمروان الخروج الى مصر فقال لخالد. اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد ردّ على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الربوخ الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا

ما صنعت بى سبنى على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت . أسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواريها فطرحن عليه الشوادكين ـ يعنى الملاحف ـ ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن وا أمير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار أعظم من قتل أبيك قال وماذاك قالت يقول الناس ان أباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال انى أرقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال أصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت لزوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال . ان حدثت بى حادثة ورأيت أهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ماعاش ثم دعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وأمرت خادمتها يوما ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال فلانة قالت نعم قال ماحاجتك فاخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبت الجسم والقلب معا ... وبريت العظم مما تلحظين
فارددى قلب عميد واقبلى ... صلة الضعفين مما ترتجين

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع أخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها اعجابا شديدا وقال ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشترخصومتك ان أنت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

فاخذت بقلبه وكاد القاضى يجن اعجابا بها وقال يا قرة العين انه لا يزهد فى أمثالك فهل لك فى مواصلتى وغناء الدهر فانصرفت و بانت تحتال فى استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب ان يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضى ان يأتيها اذا تعالى النهار والى الناسك ان يأتيها اذا انتصف النهار فاتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس فى البيت ما جأ الا هذا التابوت فادخل أى بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فاقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضى بالباب فقال صاحب الشرطة أين أختبى فقالت لا ما جأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضى قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينا هى كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضى ماذا ترين فى رده فقالت مالى الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت انى مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لى بما تسمع واحكم بينى و بينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجانى كيف بدا لك فى زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم انى أشهدك ان لجميلة عندى ألف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضى فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسالها البينة فقالت يشهد لى تابوت عندى فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدى الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطى الله عهدا لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بالف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد فى المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فاشهدتهم على غريمى ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسالها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك فقال الحجاج. لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها. قال وكان يعقوب بن يحيى المدائنى ويحيى الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيى أنا أشتهى ان أرى بطن مهدية فقال يحيى ما تجعل لى ان أنا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ما شئت قال برذونك هذا قال نعم. قال فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لى برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتنى على برذون فاره. قالت انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن. قال أنت قادرة عليه بغير الثمن. قالت

كيف ذلك . فاخبرها بالقصة فقالت . قد حملك الله على البرذون وأر بحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غدا فتعال أنت و يعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا فاذا فعل ذلك وجئت أنا فقل أنت يامهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته . قال نعم . فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته أشنع مما تقدرينه . فوثبت مستشيطة غضبا وقالت . مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقة جيبها الى أن جاوزت أسفل البطن وهى قائمة فنظر الى بطنها فتأملناها ساعة وهى تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها و يسكنها و يعقوب يقول وا برذوناه فاخذه منه يحيى . وعن المساور قال كان عندنا بالاهواز رجل متاهل وكانت له أرض بالبصرة وكان فى السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها الا عم فى الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الاهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت و بعثت من أورد خطا لعم المرأة البصرية وسالت من كتب كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخته توفيت و يسأله القدوم لاخذ ماخلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب و لم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلى لى سفرة قالت و لم قال أريد الخروج الى البصرة قالت وكم هذه البصرة قدر ابنى أمرك وما أشك أن هنالك لك امرأة فاذكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيرى فقال فى نفسه تلك قد ماتت وليس على أن احلف بطلاقها فارضى هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الاهوازية فقالت الاهوازية ياجارية هاتى السفرة فقد أغناه الله عن الخروج قال وماذلك قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

﴿مساوى مكر النساء﴾

وذكروا . ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول فى قبائل العرب فنزل بحى من العماليق فبيناهو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطى هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء مالابد لهن منه ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذى على رأسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو . فلما نظر لقمان قال ياحدى بنات طبق ـ و بنات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوى عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا أو نحوه لا تضرب شيئا الا أهلكته ـ فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يالقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام فى السفط يكون له مثوى حتى يرى و يعلم ان العقاب فيما أتى و يحمله المرأة بفعلها حملوها ماحملت

زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فانى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينا هو كذلك اذ بصر بامرة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فمضيا جميعا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على أهلى فانما هو ثلاثة أيام أكون فى رجمى ثم تجىء فتستخرجنى فتتمتع فقال الرجل افعلى وكان اسمه الخلىّ وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان ـ ويل للشجى من الخلى فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فاخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمى والله قالت الوسطى صدقت والله. قالت المرأة كذبتما أبالكما بام. قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات جمة ما كان لامنا الا لمة . قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الام صغراهن مرّ اهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبرينى . قالت بل قل قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنونى فى رجمى جئت فاستجرجتنى وأتنكر لهم فلا يعرفونى فتتمتع ما تهينا فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا قال ارجموها كما رجمت نفسها فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة فى العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلى فقال يالقمان هذا فرق بينى وبين أهلى فقال لقمان لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أنثاك وتفرّق بين ذكره وبين أنثييه فقطع ذكره فمات

﴿ محاسن الغيرة ﴾

روى انه اذا أغير الرجل فى أهله أو فى بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيرا يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث . وقال النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له. وروى ان امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت قرب الوساد

وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها . وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد بن مسلم لان يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب الى من أن ترى حرمتي رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن علفة ألا تزوج بناتك فقال أجيعهن فلا ياشرن واعريهن فلا يظهرن فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم . الصوم وجاء السيئة والاخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . استعينوا عليهن بالعرى وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعدّ لهن من الطيب والحلى والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شيء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعرى والجوع ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خاصتها و بطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطئ هامة عظيم و بطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يات الشيطان أحد اقط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والاعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزاينه . وقيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر قالت طول السواد وقرب الوساد وقيل لو أن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقرا وأسقطهم نفسا وأوضعهم حسبا قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لملت اليه وأحببته ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الاعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الاعياد ومتى كثر خروجهن لم يعدم بد من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتم حسنا وأحسن وجها والذي رأت أنقص حسنا ولكان ما لا تملكه أظرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا . قال الشاعر

وللعين ملهى بالنساء ولم يقد * هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف

وكانت الاكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك

وكان الرجل عالما بالحكمة موضعا للامانة فى الدماء والفروج والاموال على ظاهره فيأمره أن يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وأن لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلى ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عنى فاجعل منصرفك الى منزلك فى خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهرا. امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بالطاف وهدايا وأمرها أن لا تقعد عنده فى أول مرة فاتته بالطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث ان نصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية أمرها أن تقعد هنيهة وان تبدى عن محاسنها حتى يتاملها ففعلت ولاحظها الرجل وتاملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت اخاف أن يعثر علينا ولكن دعنى حتى أدبر فى هذا ما يتم به الامر بيننا ثم انصرفت فاخبرت الملك بذلك وبكل شىء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وأن تحدثه وان أرادها على الزيادة فى المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه اخرى من خواص جواريه وثقاتهن بالطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربدّ لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الاول وأبدت بعض محاسنها حتى تاملها وعاودته فى المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطا يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضى بعد ثلاث الى بستانه الذى بموضع كذا فيقيم هناك فان ارادك على الذهاب معه فاظهرانك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام وأخبره انك لا تقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فاكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فاخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذى وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبره انى عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فاتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثانى فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فاى الامرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك ام المقام ههنا لوقت رجوعى قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت أكثر من حركتك فى منزلك ثم أمر له بعصا الزباة التى كان يرسم بها من زنى فايقن الرجل بالشر وأمر ان يكتب له ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وأن ينفى الى أقصى مملكته وتجعل العصا فى رأس رمح يكون معه حيث كان

ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجب به ذكره وقال من أطاع عضو اصغيرا من أعضائه افسد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته . وفيما يذكر عن انوشروان أنه اتهم رجلا من خاصته فى بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لاهو وجد أمرا ظاهرا يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما فى ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذرا لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن فى شرائع دينهم و وراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حز بنى أمر من أسرار ملك الروم وبى حاجة الى علمها وما أجد نى اسكن الى أحد سكونى اليك اذ حللت من قلبى المحل الذى أنت به وقد رأيت ان تحمل لى مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما فى بلادهم من تجارا نهم وأقبلت الىّ وفى خلال ذلك تصغى الى أخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو ان ابلغ فى ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فأقام فى بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم و بعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره وورده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك ان تصور صورة الرجل فى جام من جاماته التى يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لانوشروان ومشيرا عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كانه يسارّه ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله فى الركاب فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يدا وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام فى يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضوا عضوا وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس . قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل فى دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كانه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته فى الجام فقال له أدبر فادبر فتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية

واحدة فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة أعقل من الانسان إذ كانت تخفى مديتها وتدفنها وانما أهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك أنت عبد مادمت عند ملك الروم مطلعا على أموره متتبعا لاسرار ملك اذا قدمت بلاد فارس وند يم ملكها أطعموه فاطعم وسقى الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا أن لا نقتل الجاسوس الا فى أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعا ولا عطشانا فأمر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان فى المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل ففى الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل فى السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما أراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا أنه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها الا بدأ وهبها افترعها ورد ها الى بعلها ثم أن رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها الفيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدِى بعمليقَ ومعـهُ فاركبى * وبادرى الصبحَ بأمرٍ معجبِ
فسوف تلقينَ الذى لم تطلبى * ولم يكنْ من دونه من مذْهب

فجعلت تقول وهى تزف

ما أحدٌ أذلُّ من جديس * أهكذا يفعلُ بالعروس
يرضى بهذا يا لقومى حرٌ * من بعد ما أهدى وسيق المهرُ
لان يلاقى المرءُ موتَ نفسه * خيرٌ لهُ منْ فعل ذا بعرسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الاسود بن غفار وهو قاعد فى نادى قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وأنشأت تقول

أيصلحُ مايؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجالٌ كثرةً عدد الرّمل
وترضونَ هذا يالقومى لاختكم * عشية زفت فى النساء الى البعل
فان أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء فى المنازل والحجل
ودونكمُ طيبَ النساء وانما * خلقتمْ جميعا للتزين والكحل

فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقيم على ذحل
فقبحا لبعل ليس فيه حميَّةٌ * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما أو أصيبوا عدُوكم * بداهية تورى ضراما من الجزل
والا نخلوا داركم أو ترحلوا * الى بلد قفر خلاء من الاهل
ولا تخرُجوا للحرب يا قوم انها * تقوم بأقوام شداد على رجل
فيهلك فيها كل وغد مواكل * ويسلم فيها ذو الطعان وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفا شديدا وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادئناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وانصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى الملك فقال انى أحب ان تجعل غداءك عندى أنت وجنودك . فقال عمليق ان عدد القوم كثير وأحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الاسود . فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالاكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الاكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والاسود يرتجز ويقول

يا صبحة يا صبحة العروس * حتى تمشت بدم جميس
يا طسم ما لقيت من جديس * هلكت يا طسم فهبسى هيسى

فقتلوه وجنوده جميعا . ومثله الفطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عمليق فى ملك طسم وجديس فى أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود فى مملكته امرأة الا بدأ وه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود على ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها الى زوجها خرجت الى نادى الاوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك ومادهاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من أن ينطلق بى الى غير بعلى بعد ساعة فانف من ذلك أنفا شديدا فدعا ببزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صاركوا حدة من نسائها اللواتى ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا فى خفه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة فى ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن أول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المشعر الضبى وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان أغير أهل زمانه وأشجعهم

وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوى امرأة كانت تاتى الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممره فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطرا وهو يقول

ألا ان الخنيفس فاعلموه ... كما سماه والدهُ لعينُ
بهيم اللون محتقرٌ ضئيلٌ ... لئيمات خلائقه ضمنين
أيوعدنى الخنيفس منْ بعيد ... ولما يلق مأضه الوتين
لهوت بجارتيه وحادَ عنى ... ويزعم أنه أنف شفون

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابن المشعر لقيت ليثا ... له فى جوف أيكته عرين
تقول له صددت حذار حين ... وأنك نشوأ بطال مبينُ
وأنك قد لهوْت بجارتينا ... فهاك عبيد لاقاك القرين
ستعلم أيُّنا أحمى ذمارا ... اذا قصرت شمالك واليمين
لهوْت بها لقد أبدلت قبرا ... وباكية عليك لها رنين

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فاقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون فى رجب أحدا فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وماذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب وانى رجل من ضبة غصب أخ لى امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضبا وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمى كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فابت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فاتته وتابت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه باسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يرانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

امام توليـنى وتابى بنفسها ... على ضمضم تعساو رغما لضمضم

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ونزل الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلم أنى لست أعشق مبغضا ... فكان بنا عنها وعنك عزاء

وقتله فعلم القوم بضمضم فاخذوه فلما أصبح ابرز الى النادى ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل . ويقال ان أول من قال خير قليل وفضحت نفسى فائرة امرأة مرة الاسدى وكانت من أجمل النساء فى زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبد الله حبشيا يرعى ابلها فامرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبينا هو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فاخبره ان امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقى فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهى تقول خير قليل وفضحت نفسى فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسى فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمرك ما تعتادنى منك لوعة * ولا أنا من وجد بذكراك أسهد

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نبهتنى ففال لها الحقى باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقينى فان كان الرجل فى قوله صادقا سببت له من يقتله فتنقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به فى الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتى بامر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف وخرج فاكه فى جماعة من بنى مخزوم وأخرجوا معهم هندا ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغيرلون هند فقال لها أبوها انى أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذلك لمكروه ولكن سنأتى بشر الخطى ويصيب فلانا من أن يسومنى مما يكون فيه سبة على باقى عمرى قال انى سوف اختبره قبل ان ينظر فى أمرك فاخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان منى فى طريقى قال عمره فى كمره قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضى غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فاخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت اليك عنى والله لاجهدن ان يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبوسفيان بن حرب فجاءت بمعاوية . قيل وكان عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ الى خمر فاشربها * أم هل سبيلى الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاخلاق ذى كرم * سهل المحيا كريم غير ملجاج

فقال عمر أما مادام عمر اما ما فلا . فلما أصبح قال على بنصر بن الحجاج فاتى به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة . قال . ولم وماذنبى . قال اخرج فوالله ما تساكننى فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه

لعمرى لئن سيرتنى وحرمتنى * ولم آت اثما ان ذا لحرام
ومالى ذنب غير ظن ظننته * و بعض تصاديق الظنون اثام
وان غنت الزلفاء يوما بمنية * فبعض أمانىّ النساء غرام
فظن بىَ الظن الذى لو أتيته * لما كان لى فى الصالحين مقام
و يمنعنى مما تمنت حفيظتى * وآباء صدق سالفون كرام
و يمنعها مما تمنت صلاتها * و بيت لها فى قومها وصيام
فهذان حالانا فهل أنت مرجعى * فقد جبَّ منى غارب وسنام

قال . فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته . و يروى أيضا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقنى اذ لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا رب غيره * لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن ربى والحياء يكفنى * وأكرم بعلى أن توطا مراكبه

قال فرجع عمر الى منزله فسال عن المرأة فاذا زوجها غائب فسال ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت وأطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر فكتب الى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال اذا أتت ستة أشهر الى أهاليهم . وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فاتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشا يقول

وأشعث غره الاسلام منى * خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها و يضحى * على جرداء لاحقة الحزام

فسمع ذلك جاره فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه فقال . أحسنت أحسنت

وتمام الابيات

كأن مجامع الربلات منها * فئامٌ قد جمعن الى فئام

﴿ومنه أخبار الشعراء﴾ قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بنى أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها و بلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتذمم من ذلك وأمر بقميص فغمس فى السم وقال لامرئ القيس البس هذا القميص فانى أحببت ان أوثرك به على نفسى لحسنه و بهائه فعمل السم فى جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمى ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظلمت له نفسى بان جئت راغبا * اليه وقد سيرت فيه القوافيا
فان أكُ مظلوما فقدما ظلمته * و بالصاع يجزى مثل ماقد جزانيا

قيل وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الايهم الغسانى فنزل عليه واقام عنده وكتب الى النعمان

حلفت ولم أترك لنفسك ريبةً * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغشُّ وأكذب

قيل وكانت امرأة شداد أبى عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فالقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات و بكته وكان اسمها سمية فقال عنترة

أمن سمية دمع العين مذروف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف
كانها يوم صدَّت ماتكلمنا * ظبى بعسفان ساجى العين مطروف
قامت تجلانى لما هوى قبلى * كانها صنمٌ يعتاد معكوف
المال مالكم والعبد عبدكم * فهل عذابك عنى اليوم مصروف

قيل ولما أنشد عبد بنى الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته التى يقول فيها

توسدنى كفا وتمضى بمعصم * علىَّ وتنحو رجلها من ورائيا
فمازال بردى طيبا من ثيابها * الى الحول حتى أنهج البرد باليا
وهبت لنا ريح الشمال بقوة * ولا برد الا درعها ورداثيا
أميل بها ميل الرديف وأتقى * بها الريح والشفان من عن شماليا

رأت قتبارثا وأخلاق شملة ... وأسود مما يلبس الناس عاريا
تجمعن شتى من ثلاث وأربع ... وواحدة حتى كملن ثمانيا
سليمى وسلمى والرباب وتربها ... وأروى وريا والمنى وقطاميا
وأقبلن من أقصى البلاد يعدنني ... الا انما بعض العوائد دائيا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدّر من كريمة معشر ... عرقٌ على متن الفراش وطيب

وجدوه شاربا ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التى يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

﴿مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها﴾

حكى عن سليمان بن عبد الملك انه كان فى بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينما هى تصب الماء على يديه اذا استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هى مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فامرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغنى فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء فى الغناء والترخيص لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقى أحد يسمع منه. فقال رجل من القوم عندى رجلان من أهل الابلة محكمان قال فاين منزلك من العسكر فاومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فساله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفى أى النواحى كنت فذكر الناحية التى سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضيعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصى وسال عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان أخص من قبلك من المخنثين

وحدث الاصمعى ان الشعر الذى سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبة سمعت صوتى فارّقها ... من آخر الليل لما بلها السحر
تدنى على الخد منها من معصفرة ... والحلى باد على لبانها خصر
فى ليلة البدر ما يدرى مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت أبواب ولا حرس ... فدمعها لطروق اللحن ينحدر

لو تستطيعُ مشتْ تحوى على قدم * تكادُ من رقة فى المشى تنفطرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه الى سنان فاحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشر آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

استبقنى الى الصباح أعتذرْ * انَّ لسانى بالشرابِ منكسر

فارسل المعروفَ فى قوم نكرْ

فامر به فخصى وكان بعد ذلك يسمى الخصى. وعن على بن يقطين قال كنت عند موسى الهادى ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فساره بشىء فنهض سريعا فقال لا تبرحوا فمضى فابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يديه فاقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجوههما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ما شأنهما قلنا . لا قال بلغنى أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما ينهى الى أخبارهما فجاءنى وأخبرنى انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك فى لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع فى حديثه كانه لم يصنع شيئا. وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القدّاح قال. كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فاهداها للمهدى فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول ما وضعت بينى وبين الارض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كاسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسى فيها وانى ان رددتها من يدى ضرب عنقى فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال انى ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقانى شربة فانا أجد عملها فى بدنى ثم أوصى بماله ومات فى يومه. قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكرا ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلى فقال يا مسرور اقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين أن يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال يا اسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندى يا أمير المؤمنين سوى جاريتى كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فاحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود أن تغنى فغنت

بنى الحب على الجور فلو * أنصفَ المعشوق فيه لسمج
ليسَ يستحسن فى وصف الهوى * عاشقٌ يكثرُ تاليفَ الحجج
فقليلُ الحبّ صرفا خالصا * هو خيرٌ من كثير قد مزج

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها غنى فغنت

ان يمس حبلكَ بعد طول تواصل * خلقا وأصبح بيتكم مهجورا
فلقد أرانى والجديد الى بلى * زمنا بوصلكَ راضيا مسرورا
كنت الهوى وأعز من وطئ الحصى * عندى وكنتُ بذاك منك جديرا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى يا سيدى فرد المسالة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزلة علية فلما وقف بالباب قال استاذن يا مسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال يا علية هل عندك ما نا كل قالت نعم يا سيدى قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب ووصفتهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجوارى يغنين ثم سقى أخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها وكانت من أجمل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فى أخذ العود وقال يا علية بحياتى غنى

بنى الحبُّ على الجور فلو

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهى فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديدا ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غدا فادخل وعزنى وركب متوجها الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا * لو أن من فيه يفدى
أسكنت قرّة عينى * ومهجة النفس لحدا
ما ان أرى لى عليها * منَ التوجع بدّا

ومنه ماحكى عن البهائم قال شيخ من بنى قشير كنا فى نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزاعليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره باسنانه فقطعه. ومنه فى خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمى لابنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شىء وقال عبد الله بن جعفر لابنته . اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء. قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تاتيه سرا فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغنى ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها . فقطن فقال له. أيها الملك بلغنى ان الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فاعجب كسرى بمقالته وأمر أن يتخذله تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر مالا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وقال بعضهم كنت أغار على امرأتى فأشرفت على يوما وأنا مع جارية لى فلقيت منها أذى حتى حلفت ان أبيع الجارية فخرجت أريد شراء حوائج لى ومعى الجارية فاتيت دكان خلال لاشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تاذن لى فى ملامة جاريتى هذه فى دكانك فانى أريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو فى قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله أتاذن لى جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضى وطرى منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتى قال لا يضرك شيئا فانى أسرع ثم وثب كانه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد. قال ودخل رجل من بنى زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها فى حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهرى فقامت مذعورة فقعدت تبكى فقال مايبكيك قالت لانك لا تقبل لاجله عذرا قال يازانية لو رأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارسا مصلوبا وحكى عن ثمامة انه قال للمهدى ان النساء شققن شقا وان هشيمة نقبت نقبا وكانت هشيمة امرأة ثمامة فساله المهدى أن ينزل عنها ففعل وأقام المهدى حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها وقال أبو طاهر انشدنى بعض الشعراء يهجو بنى القعقاع

بنى القعقاع أكرمكم لئيم * وأعظم مجدكم ركب حليق

وأنتم فى نسائكم اتساع * وفى أخلاقكم نكدٌ وضيق

وعن عبد الله بن ياسين قال. كان فى المهدى غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابى عبد الله كاتبه جمال فقال للخيزران. استزيريها. فزارتها وجاءت اليها فقالت لها. هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدى فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدى أنا وليك فزوجينى نفسك فقالت أنا أمتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت أخبرت اخوتها بما كان فقالوا امسكى عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيرى الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلتا معا ما شعرت الخيزران الا ببنى أبى عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا نفعل كما فعلنم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل. فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لامرت الخدم بقتلكم فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدى بذلك فكان السبب فى قتل المهدى محمد بن أبى عبيد الله على الزندقة. و بلغه أيضا عن عونة بنت أبى عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران. هل لك فى الحمام قالت نعم. فلما دخلا ما شعرت الا بالمهدى قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت منى لاضربن بالكرنيب وجهك. فقال ويلك انما أردت أن أتزوجك قالت لا سبيل الى ذلك فانصرف عنها فاخبرت أباها فقال أحسنت فى فعلك

﴿ محاسن القيادة ﴾

الحسن الجرجانى قال حدثنى سهم بن عبد الحميد الحنفى قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيئوا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برزون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشئ الا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلماننا بثقل كثير وهيئة جميلة فتنا سبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفى فارتحلنا فى قافلة منا لا يدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لابداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك أن تستنفع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع فى نفسى منه شر فنظر الى فقطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك بما ترى وحديث ذلك يجرى اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدى خيرا فخرجت مبادرا الى الطائف فلما امتد بى الطريق وليس يصحبنى فيه أحد عن لى اعرابى على قعود له فحدث أحسن الحديث وروى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت. من أين أقبلت. قال. لا أدرى. قلت وما القصة قال. أنا عاشق لامرأة قد أفسدت على عيشى وقد حذرنى أهلها وجفانى لها أهلى وانما

استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد. قلت فاين هى. قال ننزل غدا بازائها فلما نزلنا أرانى طريقا عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق فقلت أراه قال فترى الخيم التى هناك قلت نعم قال فانها فى الخيمة الحمراء فادركتنى اريحية الحدث فقلت والله انى آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كانها مهرة عربية فذكرته لها ففرفرت زفرة كادت تنتقض أضلاعها قالت أوحى هو قلت نعم تركته فى رحلى وراء هذا الطريق قالت بأبى أنت وأمى أرى لك وجها حسنا يدل على الخير فهل لك فى أمر قلت نعم فقير اليه قالت البس ثيابى فاقم مكانى ودعنى حتى آتيه وذلك عند مغيب الشمس فانك اذا أظلم الليل أتاك زوجى فقال لك يا فاجرة و يا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما فأوسعه صمتا ثم يقول فى آخر كلامه اقمعى سقاءك يا عدوة الله فضع القمع فى هذا السقاء واياك وهذا السقاء الآخر فانه واه قلت نعم فاجبتها الى ماسألت فجاء الزوج على ماوصفت وقال اقمعى سقاءك. فخيرنى الله ان تركت الصحيح وقمعت الواهى فما شعر الا باللبن يتسبسب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقى رأسا ولا وجها ولا رجلا حتى خشيت أن يبدوله وجهى فتكون الاخرى فالزمت وجهى الارض فعمل بظهرى ماترى فلما تغيب عنى جاءت المرأة باكية فرأت مابى من الشر واعتذرت وأخذت ثيابى وانصرفت قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليه بسر من رأى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فاطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيبا قال مارأيت فى الفتيان مثله قال كان منافتى يقال له الاشتر بن عبد الله وكان سيد بنى هلال وأحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان معجبا بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الاشتر البلاء جاءنى يوما وقال يا نمير هل فيك خير قلت عندى ماأحببت قال فساعدنى على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتى المساء فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا فى شعب وقعدنا هناك وقال يا نمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى بشفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة راعية الضان فتقرئها منى السلام وتسالها عن الخبر وتعلمها بمكانى قال فخرجت لا أتعدى ماأمرنى به حتى لقيت الجارية فابلغتها الرسالة واعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هى مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فاخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى أتينا الموعد فى الوقت الذى وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشى قد نت منا فوثب اليها الاشتر فتصافحا وسلم

عليها و وثبت موليا عنهما فقالا أقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت اليهما و جلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيداء فنتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذى تعلم من البلاء و الشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قلت بلى وهل الخير الا عندى فاسالى ما بدا لك فانى منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فالبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائى فادخل فى سترى فان زوجى ياتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم ياتيك بالقدح ملآنا لبنا فيقول هاك فلا تاخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه أوذره حتى يضعه ثم يستبد دائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدى عليه ثم أهويت لاخذه فاختلفت يدى و يده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطا فضربنى مقدار ثلاثين سوطا حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعونى منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحى وهممت أن أوجر بالسكين فلما خرجوا عنى وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء. فحدثتنى وهى تحسبنى ابنتها فالقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبى دونها فقالت يا بنية اتقى الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندى فقالت سارسل اليك أختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فمها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهتزت مثل القصبة من الروع و باتت معى ونلت منها الشهوة التامة و رافقتنى أصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئا ألذ مما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث وتضحك منى ومما بليت به حتى برق النور و جاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبى فاخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندى ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا أحرمنى الله مكافاتك. /وعن رجل من بنى عامر انه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم و برزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شانها قال فوقفت عليها فاذا هى أحسن خلق الله وجها وأغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت أسالك شيا فهل لك به علم قلت سلى فقالت ايما احسن جردة الرجل أم المرأة قلت الرجل قالت بل المرأة فان احببت ان تعلم

ذلك علمته قلت وكيف اعلمه قالت أنجرّ دلك من ثيابى وارميها عنى ثم امشى حتى ابلغ الاكمه ثم اقبل حتى آتيك فتعطينى عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت فقلت لك عهد الله ان فعلت لا فعلنه قال فالقت ثيابها عن أحسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت الى قالت الوفاء قلت الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابى وانا كابهى الفتيان وأهيأهم حتى مضيت بعد الغابة فلما انتصف بى المدى سمعت خرخرة جملى فاذا هى قد جالت على ظهره لابسة ثيابى متنكبة قوسى قد لزمت الحجة فناديتها فلم تعرج على ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فانبعث بى أثر الحى وأخذت شق الوحشى حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأونى من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلى وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمرى بعثوا بجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتنى ونشطت خطام الجمل من يدى وأنا متبرقع أحسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية فى وجهى ساعة ثم قالت لقد أمسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى أتت الحى فقالت أم الجارية يا بنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتنى العجوز وادخلتنى الستر وقالت من أنت لا أفلحت قلت بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها فقالت نشدتك الله الا اعرتنى نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على ان نبنى بابنتى صاحبة الجمل الليلة وما فى الحى رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه اقوى منك ان اعتركتما فلك عندى يد بيضاء وأقبلت واخت لابنتها وخالتها فالبسانى ثوب العروس وطيبتنى ثم دلفن بى نحو الرجل بعيد العتمة وقالت امها اما لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستاتيك الكافرة فادخلتنى على مثل الاسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيى وكف عنى وطال بى الليل حتى سمعت خرخرة جملى فلم ألبث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهى معهما فجعلتها مكانى وفتشت عن سرها فاذا هى قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابى فنهضت مبادرا الا ألوى على شئ حذرا مما لقيت. قيل وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم ترمنه سقطة غير هذه وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته لجمالها فدعا بعدى بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عدى لقد رأيت جارية لئن لم أظفر بها انه الموت ولا بد من ان اتلطف أو تتلطف لى حتى تجمع بينى وبينها قال ومن هى. قال سالت عنها فقيل هى امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة. قال فهل اعلمت أحدا. قال لا. قال فاكتمه فاذا اصبحت فجدد لحكم كرامة وبرا فلما أذن للناس بدأته فاجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضا بالاذن له وجمله فانكر الناس ذلك فقالوا. ما هذا الا لامر فصنع به ذلك اياما ثم قال له عدى. أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق

احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال ياحكم ماكانت نفسي تسمح بهذا الولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدى فقال ياأباعويمر ماصنع الملك باحد ماصنع بى وماأدرى بماأكافيه قال له عدى طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظى بها عدى عنده وعلم حكم انه قد مكر به فى امرأته وفيه يقول الشاعر

مافى البرية من انثى تعادلها ... الا الذى أخذ النعمانُ من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجى قال. قدم علينا رجلان من أهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسلمى وابن أخ له مقيمين بناحية الروحاء فارسل النسوة الى سليمان وابن أخيه أما لكما حاجة فى الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج أزواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحبا يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئا من ذكره لاسرعوا اليه وتخلقتم وتحدثتم ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن أخيه فقالا. ياأبا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألونى ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تتلهون وتتحدثون أنا الذى أشدحبا وأكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن الى رسولا وعاهدنى لئن أخرجتهم ليحتملن لى حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معى فمازلت أحدثهم بالصدق حتى أخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى أفنيته فاقمت معهم ثلاثة أيام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئا فقلت فى ذلك

انى انطلقت معى قومٌ ذو وحسب ... مافى خلائقهم زهوٌ ولا حمق
انى لاعجب منهم كيف أخدعهم ... أم كيف آفك قوما ما بهم رهق
أظل فى الارض الهيهم واخبرهم ... أخبار قوم وما كانوا ولا خلقوا
ولو صدقت لقلت القوم قد دخلوا ... حين انطلقنا وانى ساعة انطلقوا
فلو اجاهدت ماجاهدت دونكم ... فى المشركين لادركت الاولى سبقوا
ان كنت أبدا جارى من حلائلكم ... والدَّهر ذو عنف أيامه طرق
فان كلَّ جديد عائدٌ خلقا ... فان يعود جديدا ذلك الخلق

قال فظفر أصحابى بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والخيبة مع أتم القيادة والتعب وكذب المحادثة. وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن أبى الفرج الهارونى وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء

فى منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ما عهدت وكان لا يكتمنى شيئا فقلت مالى أراك مدلها يا أبا الحسن قال رأيت شيئا أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وأنا بى مخضبٌ * أومى الينا بيده
أومى بها يخبرنى * راحته فى كبده
أن الضنى فى جسدى * يخبرنى عن جسده
فليس للحاسد إلا * خصلةٌ من حسده

ثم شرح لى القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبك مطوىٌّ على كمده * عبرى مدامعه تجرى على جسده
له يدٌ تسأل الرحمن راحتها * مما به ويدٌ أخرى على كبده

فقبلها وحسن موقعها عنده فولانى خراج ديار ربيعة فاصبت فيها ألف ألف درهم. قال السجستانى: أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعى والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما . عللانى باحاديثكما وابدأ أنت ياحسين. قال. نعم يا أمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتى فقبلها وأمرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فأصابنى حرّ وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقى فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كانها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجريان عليها قميص لاذٌ جلنارىّ ورداء عدنى قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطى القباطى وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة المسك محشوة وهى يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب جريانها سواد المسك والغالية ودابر العود الهدى على لبتها عبق الخلوق وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز وجائية تخطر فى مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كانها تخطر على اكباد محبيها فهى كما قال الافوه الاودى

ليس منها ما يقالُ لها * كملتْ لو أنّ ذا كملا

كلُّ جزءٍ من محاسنها * كائنٌ من حسنها مثلا
لو تمنت فى براعتها * لم تجد فى حسنها بدلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها ياسيدتى انى شيخ غريب أصابنى عطش فامرى لى بشربة من ماء تؤجرى. قالت. اليك عنى ياشيخ فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر. فقلت لها. ياسيدتى لاية علة. قالت. لانى عاشقة من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء. قلت لها. ياسيدتى هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك. قالت انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال. قلت لها ياسيدتى فما وقوفك فى الدهليز. قالت. هو طريقه وهذا أوان اجتيازه. قلت لها ياسيدتى هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات أم حبٌّ مستحدث. فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد. وأنشأت تقول.

وكنا كغصنى بانة وسط روضة * نشم جنا اللذات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ * فيا من رأى فردا يحنُّ الى فردِ

قلت لها. يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى. قالت. أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فابهت وتهرب الروح عن جسدى وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل. قلت لها. عزيز علىّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شىء أراك كنت مفتنة فى أرض البصرة. قالت كنت والله ياشيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنتنى هذا الغلام. فقلت يا هذه ما الذى فرق بينكما. قالت نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثى وحديثه شان من الشان وأنبيك أمرى انى كنت افتصدت فى بعض أيام النيروز فأمرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفراش وأوانى الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبى عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بى وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتنى منهن فلما حصلت عندى رمت بنفسها علىّ تقطعنى عضا وقرصا ثم خلونا نتمزز القهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هى فوقى وتارة أنا فوقها فحملها السكر على ان ضربت

يدها على تكتى فحلتها ونزعت هى سراويلها وصارت بين فخذى كمصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل على حبيبى وقد التزق قرطى بخالخالى فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصدف عنى وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعض على أنامله وولى خارجا فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسلُّ سخيمته واستعطفه فلا ينظر الى بعين ولا يكتب الى بحرف ولا يكلم لى رسولا . قلت لها يا هذه أفن العرب هو أم من العجم . قالت هو من جملة ملوك البصرة . قلت من أولاد نيابها أو من أولاد تجارها . قالت من عظيم ملوكها . قلت لها . أشيخ هو أم شاب . فنظرت الى شزرا وقالت انك لاحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد اجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة فى بياض عطر لباس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغنى وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شىء الا انحرافه عنى لانفصالى منه بل حقدا لما رآنى عليه . قلت . يا هذه وكيف صبرك عنه فانشأت تقول

أما النهارَ فمستهامٌ والهٌ * وجفونُ عينى ساجفاتٌ تدمعُ
والليل قد أرعى النجوم مفكرا * حتى الصباح ومقلتى لا تهجعُ
كيف اصطبارى عن غزال شادن * فى لحظ عينيه سهامٌ تصرعُ
وجهٌ يضىء وحاجبان تقوّسا * وكان جبهته سراجٌ يلمعُ
وبياضَ وجه قد أشيبَ بحمرة * فى وجنيته كأنهُ مستجمعُ
والقدُّ منه كالقضيب اذا زهى * والغصن فى قنوائه يترعرعُ
تمت خلائقه واكملَ حسنه * كمثال بدر بعد عشر أربعُ

قلت لها يا سيدتى ما اسمه وأين يكون . قالت تصنع به ماذا قلت اجهد فى لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال قالت على شريطة قلت . وما هى قالت تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة قلت لا أكره ذاك قالت هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة يكنى بابى شجاع وقصره فى المربد الاعلى وهو أشهر من أن يخفى ثم صاحت فى الدار يا جوارى دواة وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى تركى الدعاء فى صدر رقعتى ينبىء عن تقصيرى ودعائى ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع ايأسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدى فجد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها أنفسا ميتة اسرى وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك

الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى أناذاكرتها سيدى ألست لك محبة و بك مدنفة فان رجعت مولاى الى الاشبه بك وانقذتنى من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياى فقلت لها ياسيدتى قد وجب حقك علىّ ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء قالت استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت فى الدار أخرجنا الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان أقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الطاسات والجامات واقداح مملوءة ماء وثلجا وقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى فلم لا تامرين إحدى الجوارى ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مرأ علمتك فتخرجين اليه قالت لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عبالة عنق الليث من أجل أنه * إذا رام أمرا قام فيه بنفسه

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين فلما أصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وابناء الملوك و رأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد و وقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب جليل فوثبت اليه و بالغت فى الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته فى الذى جرى بينى و بينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهل لك فى ان تنتظر الى البديل نعم فصاح فى الدار ياجوارى أخرجن الينا لذيذا فما كان الا ان طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشى مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات فخذين وعجيزتين تختطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ من الحب آهُ * ما أقتلَ الحبَّ وأضناهُ

ودون ذلك مكتوب

عيارةٌ مياسةٌ فى الخطى * رخيمة الدَّلّ صيودٌ للرجال

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة أسطر وهى

اذا غضبت رأيت الناس قتلى * وان رضيت فارواحٌ تعود

لها فى عينها لحظات سحر * تميت بها ويحيي من تريد

وتسبى العالمين بقلتيها * فكلُّ العالمين لها عبيد

فناولها الرقعة وقال اقرئى وأجبى صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت ومزقتها

وضربت بها فى وجه الغلام وغابت فى الستر فقال لى اما أنت يا شيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه قلت بل أنت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك اتيانها والله ما أرى لها فى البشر نظيرا قال لا أفعل ولوانها فى حسن يوسف وكمال حواء خرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر ذيلى حتى وردت عليها فاستاذنت ودخلت فبدأت بى فقالت ما وراء الشيخ قلت البؤس واليأس قالت لا عليك فان الله والفدر ثم أمرت لى بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لآل سليمان فلم يكن لى والله الا معرفة خبرها فى العام الذى عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمرا ونهيا وأسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستاذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الى عرفتنى ووثبت الى وقبلت رأسى وقالت يا شيخ الحمد لله الذى جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين ترامم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتى ويسالوننى الرجوع له والله لا نظرت اليه فى وجه ولوانه فى حسن يوسف وكمال حواء فسجدت يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربا الى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا يا شيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتنى خريطة فيها أوراق فقالت هذا أول ما ورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضى عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك ولبسطت سوط عتبى عليك وحكمت سيف ظلامتى فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى وفرشت نفسك لها على حالتى جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك ولقد ضمنت رقعتى هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهى

قطع قلبى فراقكم قطعا * وكدت أقضى لبينكم جزعا
ما تكحل العين بالرقاد ولا * ينام جنبى فى الليل مضطجعا
لا عيش لى مذ نأت ولا وجدت * عيناى فى الارض قط متسعا

قلت لها أفلا تحدثينى كيف سليت عنه وابتلى قالت كيف لا أحدثك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أبلى فؤادى وشفى الارق * والدمع من مقلتىّ يستبق
من حب ظبى أغن ذى دعج * وقلبه للشقاء منطبق

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون سخيمتي ويستعطفوني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي قلت أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الى تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتي هدية وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها قلت السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لي في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني وقالت من الشيخ قلت الخليع شاعر العراق ومغني هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار تملك فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة قالت لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت أيطمع الخصوص من أن يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة قلت لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة قالت في خمس عشرة سنة قلت لها انقصيها أولى بك قالت في ثلاثة سنين قلت لها حطة أخرى وقد اجتمعنا قالت لا والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت ان يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتني في جوارها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت يا سيدتي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة قالا هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الاول جالسة عليها جبة وشيء مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتني وقالت لا تفكرن في ريبة فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الي وثب الي وقبل بين عيني وقال يا شيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها فقالت بماذا برك سيدي فاقرأتها الرقعة فقالت نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا وقال أوه يا حسين لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لي ولها شان من الشان

﴿ومنه مع الشعراء﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان فى الحج فاذن لها وكتب الى الحجاج يامره بالتقدم الى عمر بن أبى ربيعة أن لا يذكرها فى شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا ان يتهيأ باجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة فى المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهارا فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشانها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطارف فكانت تتطلع الى عمر كثيرا وكانت تسال من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئا فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فاقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت . قال من مكة . قالت عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله قال ولم يا ابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فاقمنا أشهرا فما استطاع الفاسق عمر بن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا نلهو بها فى سفرنا هذا قال فلعله قد فعل قالت فاذهب اليه واساله ولك فى كل بيت تاتينى به منه عشرة دنانير فاقبل الرجل وأتى عمر بن أبى ربيعة فاخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تكتم علىّ قال افعل ثم انشده

راع الفؤاد تفرق الاحباب * يوم الرحيل فهاج لى أطرابى
فظللت مكتئبا أكفكف عبرة * سحا تفيض كوابل الاسراب
لما تنادوا للرحيل وقربوا * بزل الجمال لطية وذهاب
كاد الاسى يقضى عليك صبابة * والوجه منك لبين الفك كابى
قالت سعيدة والدموع غزارف * منها على الخدين والجلباب
ليت المغيرى الذى لم نجزه * فيما أطال تصيدى وطلابى
كانت ترد لنا المنى أيامنا * اذ لا نلام على هوى وتصابى
أيام نكتم ودنا ونوده * سرا مخافة منطق المغتاب
أخبرت ما قالت فبتّ كانما * يرمى الحشا بنوافذ النشاب
فبعثت جارية وقلت لها اذهبى * قولى لها فى خفية وقراب
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه * منى على ظمإ وطيب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلّ ما * ترعى النساء أمانة الغياب
ان تبذلى لى نائلا أشفى به * سقم الفؤاد فقد أطلت عذابى
وعصيت فيك أقاربى فتقطعت * بينى وبينهم عرى الاسباب
فبقيت كالمهريق فضلة مائه * فى حرها جرة للمع سراب

ثم أتى اليها بالابيات فاعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه فى كل بيت عشرة دنانير وقال أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرنى أبو بكر العامرى قال حدثنى

موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فاتاه ابن أبي عتيق . فقال . كيف تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

من رسولي الى الثريا فاني * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتني مجاجة المسك عقلي * فسلوها بما يحل اغتصابي
أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب
وهي ممكورة تحير منها * في أديم الخدين ماء الشباب
وتكنفنها كواعب بيضٌ * واضحات الخدود والاقراب
في سخاب من القرنفل والدُّ * رُّ نفيس واها له من سخاب
قلت لما ضربن بالسجف دوني * ليس هذا لودنا بثواب
فتبدت حتى اذا جن قلبي * حال دوني ولائد بالثياب
حين شب القتول والعنق منها * حسن لون يلف كالزرياب
ذكرتني بهجة الشمس لما * طلعت في دجنة وسحاب
دمية عند راهب وقسيس * صوروها في مذبح المحراب
فارجحنت في حسن خلق عميم * تتهادى في مشيها كالحباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فاقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أما رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فاتى منزله فوجده غائبا فانطلق غلام عمر الى عمر . فقال . ان رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا . قال ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فاتاه الغلام فاخبره فقال أسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فاسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله . فقالت لجواريها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحبا بعمي ما جاء بك يا عم . قال . أنت والفاسق جئتما بي قالت اما والله لو بغيرك تحمل علينا ما اجبناه ولكن ليس لك مدفع أمر رنا نحوه فاقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك . فقال ما عمكة على حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير بن بكار عن

أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثا حلوا. قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الحريت . فقال يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة. قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم عمامته وتركب مركبه كانك ناشد ضالة . قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن انزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريبا ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالدا وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعنني وخدعنك فجلست وتحدثنا فانشدتهن فقالت هند يا سيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فادخلت رأسي في جيبي ونظرت الى هني فاذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت يا عمراه يا عمراه يا عمراه. قال عمر فقلت يا لبيك يا لبيك يا لبيك ثلاثا ومددت في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عرفت مصيف الحي والمتربعا ... بطن حليات دوارس بلقعا
الى السفح من وادي المغمس بدلت ... معالمه وبلا ونكباء زعزعا
لهند وأتراب لهند اذ الهوى ... جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه ... اذا صفق الساقي الرحيق المشعشعا
واذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى ... لواش لدينا يطلب الصرم مطمعا

وقال عمر ما رأيت يوما غابت عوادله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر . فقلت في تمام ما تقدم

أناني رسول من ثلاث حرائر ... ورابعة يزكوها الحسن أجمعا
فقلت لمطريهن في الحسن انما ... ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا
لئن كان ما حدثت حقا لما أرى ... كمثل الاولى أطريت في الناس أربعا
وهيجت قلبا كان قد ودع الصبا ... وأشياعه فاشفع عسى أن تشفعا
فقال تعال انظر فقلت فكيف لي ... أخاف مقاما أن يشيع ويشنعا
فقال اكتفل ثم التثم وأت باغيا ... فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فاني سأخفي العين عنك ولا ترى ... مخافة أن يفشوا الحديث فيسمعا
فاقبلت أهوي مثل ما قال صاحبي ... لموعده أزجي قعودا موقعا
فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني فقلن امرؤ باغ أضل وأوضعا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لى أخفت علينا ان نغر ونخدعا
فما جئتنا الا على وفق موعد على ملاء منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومجلسا دميث الثرى سهل المحلة ممرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم وحق له فى اليوم أن يتمتعا
وفيهن هند تكمل الهم والمنى واخداع عينى كلما رمت مهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبى ربيعة بن أبى عتيق قصيدته التى يقول فيها

فاتتها طبية عالمة تخلط الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها وتراخى عند سورات الغضب

قال ابن أبى عتيق امرأة طالق ان لم يكن الناس فى طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة . قال ولما هجا كثير بنى ضمرة فقال

ويحشر نور المسلمين أمامهم ويحشر فى أستاه ضمرة نورها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهرا لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقى . فقال جميل أنا رسولك الى عزة فاخبرنى ما كان بينكما . قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فاتاهم جميل وهو ينشد ذودا له فقطنت عزة . فقالت تحت الطلحة ألتمس ذودا هناك فانصرف جميل فاخبر كثيرا فلما كان فى بعض الليل أتيا الطلحة وأقامت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيت ابنة الشبلى عزة أصبحت كمحتطب ما يلق بالليل يحطب
وكانت تمنينا وتزعم اننا كبيض الانوق فى الصفا المتغيب

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة . قال فى أول الصيف بوادى الدوم ومعها جواريها يغسلن ثيابا فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلت لها يا عز أرسل صاحبى على بعد دار والرسول موكل
بأن تجعلى بينى وبينك موعدا وان تأمرينى بالذى فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فلعمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يا بثينة . قالت ان كلبا يا تينا

من وراء هذا التل فيا كل ما يجد ثم يرجع فرجع كثير . وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن منه . عمر بن شبة عن اسحق بن ابراهيم الموصلي . قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسالوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان ميّة منقرية وان بني منقر أخبث حي وأعلمه بأرفهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا نخرجنا حتى أشرفنا على الحي وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فانشدتهن قوله

نظرت الى أظعان مي كانها ... ذرى النخل أو أثل تميد ذوائبه

فاشعلت النيران والصدر كاتم ... بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق جاء الفراق ولم تجل ... جوائلها أسراره ومعاتبه

فقالت ظريفة منهن أبكى اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح ... على القلب آبته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئا له فتنفس ذو الرمة تنفسا كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي ... أقول لها الا الذي أنا كاذبه

اذا فرمانى الله من حيث لا أرى ... ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فالتفتت مي الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا ... لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه

فيالك من خد أسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق يعلل جاذبه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بان ينضو الدرع سالبه فقالت لها مي قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمرا كرهته فلبثت ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه مي وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها حتى انقض المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت مي فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فاخرج

بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة . فقلت له ماهذا فقال . انى لجليد وان كان مني ماترى فما رأيت أحدا أحسن شوقا وصبابة وعزاء منه // وعن سليمان زرواية أبي نواس . قال كنت مع أبي نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصراني وخلفه غلام كانه غصن بان يتثنى كاحسن ما رأيت فقال يا سليمان اما ترى الدرة خلف البعرة ثم قال هل لك ان تاخذ مني رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها الى فاوصلتها اليه فاذا املح غلام واخفه روحا فقال من صاحب الرقعة قلت أبو نواس . قال أين هو . قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة

تمرُّ فاستحييك أن أتكلما ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما

وبهتزفي ثوبيك كل عشية قضيب من الريحان أضحى منعما

فحسبك أن الجسم قد شفه الهوى وان جفوني فيك قد ذرفت دما

أليس عجيبا عند كل موحد غزالٌ مسيحيٌ يعذب مسلما

فلولا دخول النار بعد تنصر عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وحدثنا الجماز قال كنت يوما على باب عدى الدراع فمر بي أبو نواس شبيها بالمجنون فاذا خلفه غلام كانه مهر عربي ففلت له مالك فقال

ان الرزية لا رزية مثلها عوز المكان وقد تهيا المركب

فعدلت به و بالغلام فاقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه وكان أبو الاخطل يخلفه في الموكب و ينبسط اليه فقال له عبيد الله يوما يا أبا الاخطل من لي برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يلقى رشيقا في الدار فيخلو به و يساره و يعطيه مائة دينار في كل لقية الى ان علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لفضاء الوطر واللذة . فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبو الاخطل فطلب عبيد الله وتعمد أبو الاخطل رشيقا فرده اليه فلما ظفر به في منزله خاليا قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الاخطل

لا خير عندي في الخليل ينام عن سهر الخليل

قولوا لكل كفر من رأيت لكل معروف جليل

هل تشكرنّ لى الغدا * ة تلطفى لك فى الرسول
إذ نحن فى صيد الجبا * ل وأنت فى صيد السهول

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتمشيت فى الجميل فأسرعت * وان كنت لست تأتى جميلا
انّ من مدّ للقيادة رجلا * لحرى بان يكون نبيلا

وقال آخر

لهواهُ لا تلافِ * ومللاهُ لاختلاف
ليس يقرأ من كتاب الله إلا لا يلاف

وقال آخر

إن الرقاشى من تكرّمه * بلّغه اللهُ منتهى هممه
يبلغ من بره ورأفته * حملانُ أضيافه على حرمه

﴿ ومن محاسن ذلك ﴾ حدثنا علىّ بن الحسين بن على بن عثمان بن على بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علىّ بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت ان تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتى ربيتبنى واتخذتينى ولدا ثم تريدين بيعى فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبى طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال على بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفرا وخرجت فأقمت بالاهواز أياما أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد على كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضربا وانها على مفارقته وسألنى القدوم لاصلح بينهما فقال على بن الحسين وكانت لى حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك فى وجهى منه ومن المأموم الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجئت الى جعفرا فأوقعت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقى الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخت الثياب حتى جلست فجلست بينهما فاقبل جعفر يعطينى من نفسه لها كل ما أريد وهى ساكتة ثم قلت ياجارية هاتى العود فاخذته فاصلحت منه حتى تغنت وهى تبكى ودموعها تكف

أرتجى خالقى وأعلم حقا * أنه مايشاءُ ربى كفانى

لا تلمنى وارفق خليلى بشانى * إنه ماعنـاك يوما عنـانى

قال على بن الحسين فوالله مارأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألهتنى والله عن الغنا فاقمت بالبصرة . وعن الكلبى قال بينا عمر بن أبى ربيعة يطوف بالبيت فى حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فالقى اليها كلاما فقال له عمر ياعدو الله فى بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماه انها ابنة عمى وأحب الناس الى وانى عندها لكذلك وما كان بينى و بينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت . قال أنا فلان ابن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى على أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف وألقنى فلقيه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى فى منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر فى بعض حديثه انى رأيت ابن أخيك فاعجبنى تحركه ومارأيت من جماله وشبابه . قال له اجل ما يغيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك ان تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فانى أضن به عنه قال لكنى لا اضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك الله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتى الدواة فكتب

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراكَ اليومَ قد أحدثت شوقا * وهاجَ لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمتَ أنكَ ذو عزاء * اذا ماشئت فارقت القرينا
بعيشك هل أتاك لها رسولٌ * يسرُّك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا الىّ أخٌ محبٌّ * كبعض زماننا اذ تعلمينا
وذو القلب المصاب ولو تعزّى * مشوقٌ حين يلقى العاشقينا
فقصّ علىّ مايلقى بهند * وأشبه ذاك ما كنا لقينا
فكم من خلة أعرضت عنها * وكنت بودّها دهرا ضنينا
أردت فراقها فصبرت عنها * ولو جنّ الفؤاد بها جنونا

قال: وقال عمر بن أبى ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتنى جارية كانها دمية فى صفاء اللجين فى ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت علىّ وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى

قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجها قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب عجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى مضربا فلما توسطته فتحت العجارة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفى وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الاحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتى وسلمت على فخيل لى أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب فى شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يا منتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما ينعتانى أبصرتنى * دون قيد الميل يعدو بى الاغر
قالت الكبرى أما تعرفن ذا * قالت الوسطى بلى هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيممتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قلت أنا والله قائلها يا سيدتى قالت ومن هؤلاء قلت يا سيدتى والله ما هو عن قصد منى ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت باعد والله يا فاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن فى جارية بعينها يا جوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فاخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائما لا أعقل ما أصنع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت على وقالت يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أى والله قالت فتحب ان اريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس على منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتنى فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهى فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدثر ببياض مفروش بفرش أرمنى فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تتمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت على وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهدة الثديين قلت لها اتكى * على الرمل فى ديمومة لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وان كنت قد كلفت ما لم أعود
فما زلت فى ليل طويل ملثما * لذيذ رضاب المسك كالمتشهد
فلما دنا الاصباح قالت فضحتنى * فقم غير مطرود وان شئت فازدد

فما ازددت منها واتشحت بمرطها وقلت لعيني اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفى بالرداء مكانها وتطلب شذرا من جمان مبدد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتى قد سبق فى الليلة الاولى والله ما هو منى قصد ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت ياعدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن فى جارية بعينها ياجوارى ادفعنه فوثبت الجوارى فاخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت فى ايلة كانت أطول من الليلة الاولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فضرب لى وبقيت ارقب الوقت هائما فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية فسلمت على وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أى والله قالت افتحب ان اريكه الثالثة قلت اذا تكونين أعظم الناس علىّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عينى فاذا انا فى مضرب ديباج اخضر مدثر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علىّ وقالت انت عمر بن ابى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت انت القائل

نعب الغراب ببين ذات الدماج ليت الغراب ببينها لم يشحج
مازلت أتبعهم واتبع عيسهم حتى دفعت الى ربيبة هودج
قالت وعيش أخى وحرمة والدى لانهن الحىّ ان لم تخرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
فتناولت كفى لتعرف مسها بمخضب الاطراف غير مشنج

قلت أنا قائلها. قالت ياعدو الله أنت الذى فضحتها ونفسك وجهى من وجهك حرام ان عدت الى ياجوارى اخرجنه فوثب الى الوصائف واخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى وقد كنت عند خروجى من مضربى ضربت يدى بالخلوق واسدلت عليها ردائى فلما صرت الى باب مضربها اخرجت يدى ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما اصبحت صحت بغلمانى وعبيدى ولى الف عبد من أتانى بخبر المضرب الذى ضرب فيه بكذا وكذا فهو حرّ لوجه الله فلما كان فى وقت المساء أتت وليدة سوداء. فقالت. قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فاعتقتها وأمرت لها بمائتى دينار وأمرت بمضربى فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسى فزاحمتها فى بعض الطريق. فاشرفت علىّ من هودجها. فقالت اليك

عنى أيها الرجل. قلت . خاتم أو قميص أذكرك به . فقالت . لبعض جواريها ائتى اليه قميصا من قمصى فاخذته وأنا أقول

فلا وأبيكَ ماصوتُ الغوانى * ولاشربُ التى هى كالفصوص
أردتُ برحلتى وأريد حظا * ولاأكل الدّجاج ولا الخبيصِ
قميصٌ مايفارقنى حياتى * أنيس فى المقام وفى الشخوص

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد عبد الملك فى خاصته فدخل اليها . ثم قال يارملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يحفك الجوارى ويخف الجوارى الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبى ربيعة. قالت والله وحياة أمير المؤمنين مارآنى ساعة قط فخرج من عندها فبصر بضربى . فقال . لمن المضرب قيل لعمر بن أبى ربيعة قال على به فاتيته بلارداء ولاحذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال ياعمر ماحملك على الخروج من الحجاز من غيراذنى . قلت شوقا اليك ياأمير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكث فى الارض بيده ثم رفع رأسه فقال ياعمر هل لك فى واحدة قلت وماهى ياأمير المؤمنين قال رملة أزوجكها قلت ياأمير المؤمنين وان هذا لكائن . قال أى ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هبلتك أمك فقلت ياسيدتى أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فانشأت أقول

لعمرى لقد نلتُ الذى كنتُ أرتجى * وأصبحت لاأخشى الذى كنت أحذر
فليس كمثلى اليومَ كسرى وهرمزٌ * ولاالملك النعمان مثلى وقيصر
فلم أزل معها باحسن عيش وغبطة

﴿ محاسن الدبيب ﴾

الاصمعى . قال . اخبرنى رجل من بنى أسد انه خرج فى طلب ابل قد ضلت فبيناهو يسير فى بلاء وتعب وقد أمسى فى عشية باردة اذ رفعت له أعلام. قال. فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت على السلام ثم قالت ادخل فدخلت فبسطت لى ومهدت واذا فى حجرها صبى أطيب مايكون من الولدان فبيناهى تقبله اذ أقبل رجل امام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعر تدمامة واحتقارا فلما بصر به الصبى هش اليه وعدا فى تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه. فقلت . فى نفسى أظنه عبدا لها فجاءنى ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام . فقال. من ضيفكم هذا فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كانها الشمس حسنا وكانه القرد قبحا فقطن لنظرى. وقال . ياأخا بنى أسد ترى عجبا . قال . تقول أحسن الناس وجها وأقبح

الناس وجها فليت شعرى كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك . قلت ما أحوجنى الى ذلك قال . كنت سابع اخوتى كلهم لو رأيتنى معهم ظننتنى عبدالهم وكان أبى واخونى كلهم أصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطرحا لكل عمل دنى للعبودية تارة ولرعى الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه اخوتى كلهم فى بغائه فلم يقدروا عليه فاتوا أبى وقالوا ابعث لنا فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعانى أبى وقال اخرج فانشد هذا البعير . فقلت والله ما أنصفتنى ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فانتم جماعة أهل البيت أربابها واذا اندت ضلالها فانا باغيها . فقال قم يالكع فانى أراه آخر يومك فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها فطفقت يومى ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لى أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتنى بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فاتنى بعشاء فتعشيت وأقبلت هذه تستخرمنى وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجها . فقلت ياهذه دعينى وما أنا فيه فانى عنك فى شغل شاغل فابت على . وقالت هل لك أن تلج على لسجف اذا نام الناس فاغرانى والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت وركزتها برجلى قالت ومن أنت قلت الضيف . قالت لاحياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت انى لست فى شىء من أمرها فوليت راجعا فوائبنى كلب لهم كانه السبع لا يطاق فاردا كلى فانشب أنيابه فى مدرعة صوف كانت على وجعل يمزقنى فردنى القهقرى وتعذر على الخلاص فاهويت أنا والكلب من قبل عقبى فى بئر فاحسن الله الى انه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فادلته وقالت ارتق لعنك الله فوالله لولا انه يقتص أثرى غدا لوددت انها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضى أن تهور ما تحت قدميها فاذا أنا وهى والكلب فى قرار البئر بئرا ما بئرا انما هى حفرة لا طى لها ولا مرقاة كاشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهى تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا منقبع قد يرد جلدى على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت اباها فقالت ياشيخ أتعلم ان ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالما بالآثار فتابعها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعا فقال لولده يا بنى أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم فى البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجرا وآخر سيفا أو عصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبرى وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت ان أزوجها اياه فوالله ما يقدح لها فى نسب ولا فى حسب ثم قال لى أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب لى عقلى . قلت وهل الخير كله الا فى فهات أختكم فقال . مائة بكرة

و بكرة وجارية وعبد . فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فاخرجت أولا والكلب ثانيا وأخرجت ثالثا فاتيت أبى . فقال . لا . أفلحت فاين البعير . قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال افعل والله ولا أخذلك فدعا بالابل فاعدّ منها مائة بكرة و بكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها . قال هى والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا أطاب الله خبرك

﴿ ضده مساوى الدبيب ﴾

قال وقيل لخراش الاعرابى حدثنا ببعض هناتك . قال : خرجت فى بغاء ذود لى فدفعت فى عيشة شاتية الى أخبية كثيرة نضا نوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة طفلة من موضع مبيتها وجعلونى مكانها لئلا أتاذى بالغنم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشنى و يريد فى الظلمة مؤاتاتى فقعدت فاذا أنا برجل يديده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فاخذتها وجعلتها فى شىء كان معى ثم مديده ثانيا فناولته يدى فاقبضنى على غرمول كمثل الوتد فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندى وتناولت يده فاقبضته على مثل ما أقبضنى عليه فقطن و رمى بملحفة خز كانت عليه و وثب مذعورا فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بى من الضحك وأخفيت ما بى و كتمته فلما أصبحت ركبت راحلتى وهى الملحفة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فاخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ما نأكل نصب من هذا الوطب فاخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو . قلت وما هو . قال صاحب البارحة قلت نعم ان كنت اياه قال الحمد لله الذى اتى بك اذ لم تأت لظننت أنى اوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت اقول حين اقبضتنى عليه اتراها تحولت رجلا وانى لفى شك من مرى حتى اتانى الله بك . فاكلت انا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا اصدقاء الاصمعى قال اتى خالد بن عبد الله اعرابى فاضافه واحسن اليه و بذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل اشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فاعرض عنه فلبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث واشرف خالد عليه وهو يقول

وداري اذا نامَ سكانها * تقيم الحدودَ بها العقربُ

اذا غفل الناسُ عن دينهم * فان عقاربنا تغضب

قال وكان اعرابى ضيفا لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار

تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشا يقول

لم يخلق الله خلقا كنت اكرهه * الا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به * وهذه شيخة قوامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمعنا من قبلها باديب * بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علما * فتكات الكؤس بالاحلام
اين ما جاء من حديث رسول الله * مولاى سيد الحكام
ما على مثقل من النوم والسكرا * ن عيب فيما اتى من آثام
ثم اين الذى به حكم الما * مون فى الظرف منه والاسلام
ايما ماجد اراد سرورا * باجتماع من معشر الندام
فعليه طى البساط بما قد * سنه السكر من قبيح وذام
حلت بينى وبين عقلى بارطا * لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت فى العسوف رشيقا * فسقانى بطرفه والمدام
ثم باكرتنى بعتبك واللو * م لقد حدث عن سبيل الكرام
وتغضبت أننى قدت عمرا * ثم ثنيت بعده بغرام
هل رأيت الاله يأخذ مجنو * نا بسكر أو حالما فى منام
لن ترانى معاشرا لك ما عشت * ولو دمت عائشا الف عام
أو ترى تائبا وتستغفر الله * لما كان من شنيع الكلام

(فاجابه راشد فقال)

يا أبا جعفر سليل المعالى * ونجيب الاخوال والاعمام
ان يكن قد أتاك عنى مزح * لم يكن عن حقيقة فى الكلام
أو أكن فيه كالذى كان يغدو * بسلام عليك فى اللوام
إننى عالم بانك لم تأ * ت قبيحا ولا ارتكاب الاثام
هو ذنب المدام لا ذنب خل * لم يزل حافظا لعهد الذمام
ثم ذنب العيون يا ابن حميد * فله الذنب بعد إست غرام
قعد فى طريق ايرك حتى * عرضاه للظن والاتهام

فتغمد أخاك بالصفح فالصفح دليل على سجايا الكرام
انى تائب وأستغفر الله لما كان من شنيع الكلام

ما قيل فى ذلك من الشعر

فما أعين عشر على ساق نرجس * تضاحك عين الشمس بالمقل الصفر
باحسن ممن زارنى بعد هجعة * يميس هوينا فى الظلام على ذعر

قال ودب رجل على قينة فى مجلس فغنت

ماذا يشوش طرتى * ياقوم فى وقت السحر
ماذا يعالج تكتى * ويلاه عذبنى السهر

وقال على بن حمزة

متورد الخدين من خجل * متخاذل الاعضاء من كسل
خاض الدجا والشوق يحمله * وأتاك يمشى غير منتعل
ماراعنى الا تدافعه * كالغصن بين الصدر والكفل

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

قالت وأبثتها سرى وبحت به * قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

﴿محاسن الباه﴾

حكى عن عالج جارية مكاشوح أنها حدثت مولاتها انها كانت تغتسل كل يوم فسالتها عن ذلك فقالت يا هذه أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه . قالت أو تحتلمين قالت انه لا تأتى على ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم . قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كان رجلا جامعنى ولقد رأيت ليلة كانى مررت بدكان أبى مالك الطحان و بغل له واقف قد أدلى و رمانى تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة فى مراق بطنى ولذة فى سويداء قلبى وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس ايره وضرب به فى بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول ما فى بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين . حدثنى جهم قال قلت لامرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت ما يكثر الاعداد و يزيد فى الاولاد حربة فى غلاف تناط بحقوى رجل جاف اذا غافس أوهى واذا جامع أنجى . قال وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيد وهى

تبكى عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبى والساق و يهزنى هز الصارم الاعناق ووالله لولا ماذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكى على زوجها الغير ما أعلمتك قال وركب الرشيد حمارا مصريا وطاف على جواريه . فقالت له واحدة يا مولاى ما أكثر ما تركب هذا الحمار . قال لانه يسب طيفور . قالت فمن يسب طيفور يركب قال نعم قالت ففى حرأم طيفور قال فنزل وواقعها وأنشد فى مثله

نظرت اليها حين مرت كانها * على ظهر عادىٍّ فتاة من الجن
ولى نظرة لوكان يحبل ناظر * بنظرته أنثى لقد حبلت منى

﴿ضده فى مساوى العنين﴾

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فابى وقال لا بيها تطلب لا بنتك الباه قال نعم عسى أن ترزق ولدا فان مات كان فرطا وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهرا ثم قال

قد ظنت الدهنا وظن مسحل * أن الامير بالقضاء يعجل
عن كسلاتى والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنح لن تملكنى بضم * ولا بتقبيل ولا بشم
الا بزعزاع يسلى همى * يسقط منه فتخى فى كمى
يطير منه حزنى وغمى

ابن أبى الدنيا ان اعرابيا أخبره ان امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكرا الحى أمر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابى تسمع فتكلمت بكلام ليس فى الارض اعف منه ولا ادل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تبيت المطايا حائدات عن الهدى * اذا المطايا لم تجد من يقيمها

الرقاشى قال حدثنى أبو عبيدة قال سمعت ناسا من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا انه اذا لامسها ابتأرفيها فقضى ان حملت وما مكثت الا ان رأس ولدها فجلس فى المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رطب الطباع اذا حركت جوهره * وجدت أعضاءه غرقى من البلل
ولم أهجنه الا أنه رجل * قلت سلامته من جانب الكفل

الهلالى قال رأيت وافر بن عصام يسايرالمهدى فحدثه بحديث فضحك فقلت له حدثنى ماحدثت به المهدى قال سالنى ماعندك للنساء فقلت ماالهن عندى الاحديث ابن حزم قال وماحديثه قلت عمر حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فاكسل وأراق على بطنها فاقبل عليها كالمعتذر فقال هذا خير من الزناء قالت كل ذلك لاخير فيه قال وشكت امرأة زوجها واخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجى عيا ياء طباقاء وكل داء له دواء وقيل فى ذلك

جزاك الله شرا من رفيق * اذا بلغت مزركب النساء
رماك الله من عرق بأفعى * ولاعافاك من جهد البلاء
أجبنا فى الكريهة حين تلقى * ونعظا حين تعبر فى الخلاء

﴿ محاسن النيروز والمهرجان ﴾

قال الكسروى كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الذهب والفضة والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذال الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كيا خسرو بن أبرويز جهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارنخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصل فيه أنه فى النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم ايران شهر وهى أرض بابل فيكون النيروز فى أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان فى ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب

وكانه الضحاك فى فتكاته * بالعالمين وأنت أفريدون

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بارض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بالفى وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى للاشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة أيام لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوما وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روز مهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه فى هذين اليومين أتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول ائذن لى بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن ساربك ومع من قدمت وما

الذى معك فيقول جئت من عند الايمنين وأريد الاسعدين وسار بى كل منصور واسمى خجسته أقبلت معى السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاما ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له الملك ادخل ويضع بين يديه خوانا من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل فى جوانب الخوان ووضع فى وسطه سبعة من قضبان الشجر التى يتفاءل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب فى مواضع ابزودوابزائدوابزون وبروار وفراخى وفراهية تاويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسبند ويتناول ذلك كله ويدعو له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه فى شىء اشفاقا من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندى مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدئ باللبن الحليب الطرى منه قد اقع فيه تمر طرى فيتناول بالنار جيل تميرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما احب من الحلوى وكان يرفع فى كل يوم من أيام النيروز بازأبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه فى هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له فى كل يوم نيروز ماء فى جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمنين وجعل فى عنق الجرة قلادة من بواقيت خضر منظمة فى سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز فى يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت باربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوما فى صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن تزرع اصطوانة منها برا واصطوانة شعيرا وأخرى أرزا وأخرى عدسا وأخرى باقلى وأخرى قرطما وأخرى دخنا وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصا وأخرى سمسما وأخرى ماشا ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز اذا حصد نثر فى المجلس ولم يكسر الى روز مهرمن ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفؤل بها ويقال أجودها نباتا وأشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها فى تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوسا وخمس نشابات ويناول الملك قيمه على دار المملكة أترجة فكان فيما يغنى بين يدى الملك غناء

المخاطبة وأغانى الربيع وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء وأغانى أفرين والخسروانى والماذراستانى والفهليد وكان أكثر ما يغنى العجم الفهليد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر ايامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر فى كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضى يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعر أو صاغ له لحنا كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود فى آريه مادّ قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذا قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر باشعاره أن يتكلم بالذى يكره عماله ان يستقبلوه به

(العلة فى صب الماء) ذكروا أن العلة فى صب الماء انه كان أول من تكلم فى المهد قبل المسيح زوبن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الاقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث واخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة . وقد حكى أيضا عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين صلوات الله عليه انه قال فى ذلك ان ناسا من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فامر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبى ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا فحاربهم ببنى فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه أنى أحييهم لتحاربهم وتظفر بعدوك فامطر الله عز وجل ليلة صب الماء فاصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله موتوا ثم أحياهم » قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الازل فخطوا زمانا فهزلوا وأجدب بلدهم فعيشوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الايام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(فى البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيه اشد فقال اذا أصبحت السماء نقية والارض ندية والريح شامية

﴿ محاسن الهدايا ﴾

قال وكتب الناس فى الهدايا فاكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروى عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع فى القلوب المحبة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام . لو أهدى الىّ ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت . وقال عليه الصلاة والسلام . الهدية رزق من الله عز وجل فمن اهدى اليه شىء فليقبله . وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشىء الهدية أمام الحاجة ماارضى الغضبان ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وروى أن عاملا لعلى رضى الله عنه قدم من بعض الاطراف فاهدى الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وماشرُّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبكِ الذى لاتصحبينا

فاهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ان قوما من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الاخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فاكلوا الخبيص وأطعم جلسائه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم فى خراجهم وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبغيض وليا والثقيل خفيفا والعبد حرا والحر عبدا وفيها قول الشاعر

مامن صديق وان أبدى مودته * يوما بانجح فى الحاجات من طبق
اذا تقنعَ بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوةَ بوّاب ولا غلق
لاتكثرنّ فان الناس مذخلقوا * لرغبة كلما يعطون أو فرق

وقال آخر

اذا أردت قضاء الحاج من أحد * قدّم لنجواك ما أحببت من سبب
ان الهدايا لها حظٌّ اذا وردت * أحظى من الابن عند الوالد الحدب

وقد قيل كل يهدى على قدره . وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح اذ أتى على عش قنبرة فيها أفراخ لها فامر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق

يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت فى حجره جرادة فقيل له فى ذلك فقال كل يهدى على قدره . وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسلك والاوانى ومن السند الطواويس والببغاء ومن الروم الديباج والبسط وكان الفواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجوهر الجوهر وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر والحمار المصرى والبغال الهمالييج والظرفاء قرب الحرير الصينى مملوءة ماء ورد والمقاتلة القسى والرماح والنشاب والصياقلة والزاردون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما لطف وخف وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشى والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التى لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فانفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء الاتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم اقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والاخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفى الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يمانى فاخر فتحه شبر فى شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فانجده وأرسل اليه عشرين الف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بالفى ألف دينار لارزاق جنده

وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة باتية الديباج المطرز فى آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركبا على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس والف برذون وألف شهرى وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة وخم من ذهب مصبوب وبراذع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الاحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف الف لؤلؤة كل لؤلؤة بالف دينار وبعث اليه الف ألف درهم مثاقيله الف ألف دينار خسروانى وأنى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة فى وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى ./ فاما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فنودى عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هدتى فقبلها ونادى على منادية حسان سيد موالى أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه ./ واستملح المأمون من أبى سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين خوانا من جزع ميلا فى ميل فقال المأمون أو قبضت الهدية قيل نعم قال أهى فى دارى أم دارى فيها قال بل هى فى منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله . وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنواع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وانواع من الاطعمة والاشربة وعشرا من الوصائف فى قدر واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار . وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه الفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يا امام الهدى سعدت من الدهر بركن من الاله عزيز
وبظل من النعيم مديد * وبحر من الليالى حريز
لا تزال ألف حجة مهرجان * أنت تقضى به الى النيروز

ونعيم ألذ من نظر المعشـــوق من بعد نبوة ونشوز

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل فى يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فاعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه . وقال يا مهلبي انما لبسته لاسرك به فقلت يا أمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس . وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدى الى سيدى الاكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته فى هذا أحسن من فعله

﴿التلطف فى الهدايا﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أنى كرهت أن اخلى هذا اليوم من سنة فاكون من المقصرين أو أدعى ان فى ملكى ما ينبغى بحقك فاكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلا زلت جليلا فى العيون مهيبا فى القلوب حلوا لاخوانك كحلاوة السكر عزيزا عند الملوك لا تحسن أفنيتهم الا بك ولا زلت نافقا كنفاق الدرهم . وأهدى أحمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الامراء أعزك تسهل سبيل الملاطفة فى البر فاهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم مالا فلا أكثره تبجحا ولا أقله ترفعا

﴿هدايا النيروز﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل فى يوم نيروز بهذه الرقعة أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك فى اقبال الزمان وبسط يمن خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأمهجك بكل عيد وشديك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة ازهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وبمواقع تمكين لا يجاوزه الامل وغبطة اليها نهاية ضارب المثل وعمر يبلائك الاسلام وفسح لك فى القدرة والمدة وامتع برأفتك وعدلك الامة وسربلك العافية ورداك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والازمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب فى آخره

فداك الزمان وأهل الزمان ... امام الهدى بك مستبشرينا
قد ألقوا اليك مقاليدهم ... جميعا مطيعين مستوثقينا
ولا زلت زينا لاعيادنا ... وللدين كهفا وحصنا حصينا
يعز بدولتك الصالحون ... ويشقى بك الشرك والمشركونا

فيارب مشكلة أبرقت فجللتها السيف حقا يقينا
يصدق عزيمة مستبصر وضرب يقدُّ الطلى والمتونا
وسمت النصارى بشيطانها وذللت منها الاغر البطينا
وكم فعلة لك فى المشركين أقرت عيونا وأبكت عيونا

وكتب آخر

المهرجان لنا يوم تسر به يوم تعظمه الاشراف والعجم
وأنت فيه لنا بدرٌ يضيء كما أن السماء بدر الليل تتسم

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنت جدته يامن به للزمان تجديدُ
لازال طول الزمان يرجعه وظل ملك عليك ممدود

وقيل للمازنى أى هؤلاء أظرف فى شعره الذى يقول

جعلت فداك للنيروز حقٌّ فأنت علىّ أعظم منه حقا
ولو أهديت فيه جميع ملكى لكان جليله لك مستدقا
فأهديت الثناء بنظم شعر وكنت لذاك منى مستحقا

أم الذى يقول

دخلت السوق أبتاع وأستطرف ما اهدى
فما استطرفت للاهدا ء الا طرف الحمد
اذا نحن مدحناك رعينا حرمة المجد

أم الذى يقول

وكم من مرسل لك قد أتانى بما يهدى الخليلُ الى الخليل
فاظهرت السرور وقلت أهلا وسهلا بالهدية والرسول

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذى يقول

فوالله لا أنفكُّ اهدى شواردا اليك يحملن الثناء المبجلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة من المسك مفتوقا وأيسر محملا

وبعث سعيد بن حميد الى أحمد بن أبى طاهر قارورة ماء ورد وكتب اليه

وزائرة حورية فارسية كنشر حبيب حاد يوما عن الصمد

تردر بيعا فى مصيف بنفحة اذا قدت ورداتنوب عن الورد
حكى نشرها منه خلائق نشره كنشر نسيم الروض فى جنة الخلد
وشبهتها فى صفوها بصفائه لاخوانه فى القرب منه وفى البعد
وأهدت لنا منه النسيم نسيمه وان كان ان حالت يدوم على عهد

وعن اسحق بن ابراهيم الموصلى . قال دار كلام بين الامين و بين ابراهيم بن المهدى قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندى فابى الامين أن يقبلها فكتب اليه

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجرك لى فانكشف
فان كنت تحقد شيئا مضى فهب للخلافة ماقد سلف
وجد لى بعفوك عن زلتى فبالفضل تاخذ أهل الشرف

فرضى عنه ودعاه للمنادمة

﴿هدايا الفصد﴾ قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فاهدى اليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود و رقعة فيها

عفوت وكان العفو منك سجية كما كان معقودا بمفرقك الملك
فان أنت أتممت الرضى فهو المنى وان أنت جازيت المسىء فذا الهلك

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذى تسجد الجباه له مالى بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ما كان الا الحديث والنظر

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها . قال أبو القاسم بن أبى داود كنت عند أحمد بن محمد العلوى وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سر الغداة بوجهك اللعب وجرى بيمن فصادك الطرب
وتداعت العيدان فى زجل وتناولت راحلتها النخب
فاشرب بهذا الجام يا ملكى شربا حثيثا انه عجب
واجعل لمن قد خف فى لطف من زوره يخشى و يرتقب

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل افتصد المعتصم فاهدت

اليه شمائل صينية عتيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خضب الخليفة كفه من فصده ... بدم يحاكى عبرة المشتاق
تاه الفصاد فما يقام لتيهه ... اذ صار مفتصدا أبو اسحاق
وتوافت الميدان عند حضوره ... قب البطون ذوابل الاعناق
ملك اذا خطر الشراب بباله ... لبس السرور غلائل الاشراق

فلما قرأه أمر باحضار اسحق بن ابراهيم الموصلى وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحق يردد هذه الابيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار. المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه يا أمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب فى الجام بجمام النفس ودوام الانس والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دم الفصد من يدك العاليه ... يداعى لجسمك بالعافيه
كسا الدهر ثوبا من الارجوان ... بديع الطراز ين والحاشيه
وعصفر صفحة وجه الربيع ... بصبغ من اسراره الجاريه
فكم روضة نشرت وشيها ... وزهر روض غدت زاهيه
امام أسال دم المكرمات ... فشجج أقنائها الحاميه
فلا زال فى عيشة راضيه ... ودامت له النعمة الكافيه

قال اليزيدى افتصد المأمون فاهدت اليه رياح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تعالج من هويت بفصد عرق ... فاضحى السقم فى خلع الخضوع
وجاءت تحفة الالباب تسعى ... بورد فائض فيض الدموع

فقال المأمون لليزيدى ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا ومله استدق منها فامر لها بمال كثير ووصلنى ببعضه. قال وافتصد عبد الله بن طاهر فاهدى له أبو دلف جميع ما أصاب فى السوق من الورد وكتب اليه

تضاحك الورد فى وجهى فقلت له ... لم ذا فقال أبو العباس مفتصد
فقمت أطلب ما أهديه من طرف ... للفصد فى السوق حتى خاننى الجلد

يوم الفصاد له أزرٌ مطيبة * محجوبة لايراها الجرد والزرد
فاشرب على الورد مسرورا بطلعته * يا ابن الكرام فانت السيد النجد

قال عمر بن بابة اعتل المعتصم فاشار اليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فاخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كمايدو رعليه شمامات مسك وعنبر فامر بقراءة ماعليه فاذا هو

فصد الامام لعلة فى جسمه * فشفى الاله السقم بالفصد
وجرى الى الطشت السقام مبادرا * وجرى الشفاء اليه بالسعد
ياما لكا ملك العباد بجوده * اسلم سلمت بعيشة رغد

فقال يا عمر ومن يلومنى على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت فى عينى وخليق أن تنجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه . وأخبرنا ابراهيم القارئ قال كنت عند المامون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بارد فقال لابد لى منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فاظهر الدم فقال له المامون عقرتمونى فحلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندرى ما نقول . قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم فى الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فمص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه . قال وافتصد أحمد بن عيسى بالرى وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيبانى

فصدت بارض الرى طاب لك الفصد * وفارق نجم النحس طالعك السعد
فاعقبك الحسنى التى لامدى لها * ولا زال برديك الجلالة والحمد
تورّدت الدنيا بفصدك مثل ما * بفصدك يا ابن المصطفى ضحك الورد
فلا أبصرت عيناك ماعشت شانيا * ومن كلّ ماتهواه لاخانك العهد

وفى مثله

يافاصدا من يد جلت أياديها * ونال منه الذى يرجوه راجيها
يد الندى هى فارفق لاتريق دمها * فانّ آمال طلاب الندى فيها

قال وكتب الحمدونى الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا ياطبيب الفصد هل أنت عالم * بما صنعت كفاك فى كف ذى المجد

أسلت دما من ساعد ينثنى بها * حياءندى فاقصد بذرعك فى الفصد
فداويت كفا يعلم الناس أنها * دواء من الاعحال فى الزمن النكد
ولما أتانا المخبرون بفصده * أردت بان أهدى على قدرماعندى
وشاورت فاستصحبت آلى وجيرتى * فلم أرأمرى من ثناء ومن حمد

(وقال آخر)

تؤنق من ثنائك فى الهدايا * غداة أردت فصد الباسليق
فلم أر كالدعاء أتم نفعا * وأجمل فى مكافاة الصديق
وأكثرت الدعاء وقلت ربى * يقيك شرور آفات العروق

(وقال آخر)

على طيب أيام التمتع بالورد * فصدت فاصبحت السلامة فى الفصد
ولا زلتَ لازالتْ من الله أنعمٌ * عليك قرير العين مغتبط الحسد
لقد رُمتُ جهدى طرفة وهدية * اليك فكان الشكر أكثرماعندى

(وقال آخر)

أيها الفاصد العليل الصحيح * بأبى ذلك الجراح الجريح
ان من علق الذراع من الفصد الى الجيد ذاك شىء مليح
أيها الفاصد المهنا له الور * دوفى وجنتيه وردٌ يلوح

(وقال آخر)

أيها السيد الذى فصد العر * ق وأرخى دونى ذيول السرور
كم تمنيت أن أكون طبيبا * ومنى الصب ترهات الغرور

(وقال آخر)

أجمل جعلت فداك بالجلد * وامنن علىّ بأجمل الرد
لوعاينت عيناك مضطربى * وتفرُّدى بالمد والشد
وتخشعى عند الطبيب كانه * مولى يريد عقوبة العبد
كالنار مبضعة يقلبه * ويدير مقلة حازم جلد
حتى اعتزمت على محاجزة * وصددت عنه أيما صد
ماكان من ألم شعرت به * الا كموقع شرطة الجلد

اذ سال منبعثا سوابقه كالنار خارجة من الزند
فسلمت والرحمن سلمنى ذوالمن والآلاء والحمد
ما بعد طباخى لمفتخر فخر لمن قبلى ومن بعدى
نصب القدور بنفسه كرما لنصيب شهوتنا على عمد
فاجاد صنعتها وعجلها من غير ماتعب ولاجهد
وبنبيذنا صاف ومجلسنا فى الطيب يحكى جنة الخلد
فهلم واحضر غير محتشم واجعل غذاءك سيدى عندى
لاتجمعن علىّ محتسبا ضعف العليل ووحشة الفرد

﴿محاسن الوصائف المغنيات﴾

قال الاصمعى بعث الىّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلنى الفضل بن الربيع ثم دخلنى عليه وقت الغروب فاستدنانى وقال . ياعبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا الىّ وقد أخذتا طرفا من الادب أحببت ان تبرزما عندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم قالت ما أمر الله فى كتابه ثم ما ينظر فيه الناس من الاشعار والاخبار فسالتها عن حروف القرآن فاجابتنى كانها تقرأ فى كتاب الله ثم سالتها عن الاشعار والاخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابى فى كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئا فانشدت

ياغياث البلاد فى كل محل ما يريد العباد الا رضاك
لا ومن شرف الامام واعلى ما أطاع الاله عبد عصاك

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة فى نسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامران تصنع تلك الجارية لتحمل اليه فى تلك الليلة ثم قال لى ياعبد الملك انا ضجر واحب ان تسمعنى حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان تفرج بها فقلت يا أمير المؤمنين كان لى صاحب فى بدو بنى فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسالته عن سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فالقيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفى عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا مريشة بانواع الخطوب
ترى ريب المنون بهن سهما تصيب بنصله مخ القلوب

فقلت قفى شفتى من موضع الطبل ترتعى كما قد أبحت الطبل فى جيدك الحسن
هيانى عودا جوفه تحت متنه يمتعنى ما بين نحرك والذقن

فلما سمعت شعرى رمت بالطبل فى وجهى ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقى وما تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقى لها فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت قد كان هذا فقال يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتانى خادم فقال أنا رسول ابنتك - يعنى الجارية - تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لى بعشرة آلاف درهم على بن الجهم لما افضت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه الناس على اقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية اديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم احسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال يا على دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فسبقتنى محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا بنفسى خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبى من الوجد اسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويا من لعبنى من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فثقلت خواطرى حتى كانى ما أحسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل أقل فقد والله غرب عنى ذهنى فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال يا على اعلمت انى قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدى ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا على رأيت البارحة فى النوم كانى صالحت محبوبة . فقالت جاريته شاطر يا سيدى لقد سمعت الآن فى مقصورتها هينمة فقال تنظر ما هى فقام حافيا حتى وصلنا مقصورتها فاذا هى تغنى

أدور فى القصر كى أرى أحدا أشكو اليه فلا يكلمنى
فمن شفيع لنا الى ملك قد زارنى فى الكرا يعاتبنى
حتى اذا ما الصباح عاد لنا عاد الى هجره ففارقنى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها فى التراب حتى أخذ

بيدها راضيا عنها . حدث أبو على بن الاسكرى المصرى واسكر هى القرية التى ولد فيها موسى عليه السلام ـ قال كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برقٌ تألق موهناً لمعانهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونهُ * صعب الذُّرى متمنع أركانهُ
وبدا لينظر كيف لاح ولم يطق * نظراً اليه وهدّهُ هيجانهُ
فالنارُ ما اشتملت عليه ضلوعهُ * والماءُ ما سحت به أجفانهُ

قال فاحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيسليك عمادون دولة مفضل * أوائلهُ محمودة وأواخرهُ
ثنى اللهُ عطفيه وألّف شخصهُ * على البر مذ شدّت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستودعُ اللهَ فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فافرط تميم فى الطرب جدا وقال لها تمنى ما شئت فلك مناك قالت أتمنى أيها الامير عافيته وسلامته فقال والله لابد أن تتمنى . فقالت على الوفاء أتمنى أن أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق فى هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة ثم أصحبها جارية سوداء تخدمها وتعاد لها وأمر بناقة لى فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتنى السوداء فقالت تقول لك سيدتى أين نحن . فقلت لها نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لما رأينا القادسية * حيث مجتمعُ الرفاق
وشممت من أرض الحجا * زنسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحـ * ـبُّ بجمع شمل وانفاق
وضحكت من فرح اللقا * ءِ كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد فى بستانين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد فلما قرب الصباح إذ السوداء قد أتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها واخبار القينات

كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

﴿ محاسن الجوارى مطلقا ﴾

قيل كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج المهائر . وقال السرور باتخاذ السرارى وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى قال وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجوارى وقد علقت الجوارى لانهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

— ضده —

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

وكان يقال الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور . ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبك على اكمة . وقال بعضهم لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين وقال لا خير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

﴿ محاسن الموت ﴾

فى الحديث المرفوع الموت راحة . وقال بعض السلف ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول « وما عند الله خير للابرار » وان كان مسيئا فالله تعالى جده يقول أيضا « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما » وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين . فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث » الى قوله « وألحقنى بالصالحين » فما دار عليه اسبوع حتى مات رحمه الله قالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حد ناطق ميت وقال بعض السلف . الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استراح منه قال الشاعر

وما الموت إلا راحة غير أنه * من المنزل الفانى الى المنزل الباقى

وقال آخر

جزا الله عنا الموتَ خيرا فانه * أبرَّ بنا من كلّ برٍّ وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدنى من الدار التى هى أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت ان مدحوا الحياة فاسرفوا * فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان بقائه بلقائه * وفراق كلّ معاشر لا ينصف

(وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فانى * أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال لنكك البصرى)

نحن والله فى زمان غشوم * لو رأيناه فى المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال * حقّ من مات منهم ان يهنا

﴿ ضده ﴾

فى الحديث المرفوع أكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت. قال الشاعر

ياموت ما اجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

وقال

وكلّ ذى غيبة له إيابٌ * وغائب الموت لا يؤوب

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك يقدر سفره نحوك وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا أوله هذا لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعفى أثره والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الكتاب : بعون الملك الوهاب ﴾

صحيفه
٢ مقدمة الكتاب
٣ محاسن الكتابة والكتب
٥ ضده
٦ محاسن المخاطبات
٨ ضده
١٠ محاسن المكاتبات
١١ ضده
محاسن الجواب
١٢ ضده
١٣ محاسن حفظ اللسان
١٤ ضده
١٥ محاسن كتمان السر وضده
١٨ محاسن المشورة وضده
١٩ محاسن الشكر
٢٠ ضده
٢٢ محاسن الصدق
٢٣ ضده
٢٥ محاسن العفو
٢٦ ضده
٢٧ محاسن الصبر على الحبس
٢٩ ضده
٣٠ محاسن المودة
٣١ ضده
٣٢ محاسن الولايات
٣٣ ضده
٣٣ محاسن الصحبة
٣٤ ضده
٣٥ محاسن التطير
ضده

صحيفه
٣٦ محاسن الوفاء
٣٨ ضده
٣٩ محاسن السخاء
٤٤ مساوى البخل
٥١ محاسن الشجاعة
٥٦ ضده
٥٩ محاسن حب الوطن
٦٣ ضده
٦٤ محاسن الدهاء والحيل
٦٧ ضده
٦٨ محاسن المفاخرة
٨٠ ضده
٨٢ محاسن الثقة بالله سبحانه
ضده
٨٣ محاسن طلب الرزق
ضده
٨٥ محاسن المواعظ
٨٦ ضده
٨٦ محاسن فضل الدنيا
٧ ضده
٩٠ محاسن الزهد
٩٢ ضده
٩٣ محاسن النساء النادبات
٩٦ محاسن النساء الماجنات
١٠٢ محاسن النساء الاعرابيات
١٠٢ محاسن النساء المتكلمات
١٠٦ محاسن النساء مطلقا

صحيفه
١١٠ محاسن التزويج
١١٣ أمثال فى التزويج
١١٥ فى الناشزة من النساء
١١٨ ماجاء فى نساء الخلفاء
١١٩ ماجاء فى المطلقات
١٢٢ محاسن وفاء النساء
١٢٦ ضده
١٣١ محاسن مكر النساء
١٣٣ مساوى مكر النساء
١٣٤ محاسن الغيرة
١٣٨ أخبار الشعراء فى الباب
١٣٩ أخبار وأمثال فى الباب
١٤٤ مساوى شدة الغيرة
١٤٨ محاسن القيادة
١٦٩ محاسن الديب
١٧١ ضده مساوى الديب
١٧٣ محاسن الباه
١٧٤ ضده فى مساوى العنين
١٧٥ محاسن النيروز والمهرجان
١٧٨ محاسن الهدايا
١٨١ التلطف فى الهدايا
هدايا النيروز
١٨٣ هدايا الفصد
١٨٧ محاسن الوصائف المغنيات
١٩٠ محاسن الجوارى مطلقا
ضده
محاسن الموت . وضده

892.78:J25mA:c.1
الجاحظ ،ابو عثمان عمرو بن بحر
المحاسن والاضداد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01043220